جزائر البصرة في كتابات الرْحَّالة الأجانب
منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر

م. م. مشتاق عيدان اعبيد
مديرية تربية البصرة / ثانوية المدينة للبنين

الملخص :

ركزت هذه الدراسة على كتابات الرحالة الأجانب من مختلف الجنسيات الذين مروا أو زاروا جزائر البصرة منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، وقد استعرضنا كل ما دونه هولاء الرحالة للتعرف إلى احوال المنطقة ، وقد اشتمل البحث ثلاثة محاور وخاتمة ، تناول الأول منها جزائر البصرة في كتابات الرحالة في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، إذ ركزت كتاباتهم في تلك المدة على صراع آل عليان مع الدولة العثمانية ، فيما بحث المحور الثاني في مادوّنه الرحالة بخصوص المنطقة في القرن السابع عشر؛ عندما وقعت المنطقة تحت نفوذ الإمارة الافراسيابية ، أمّا المحور الأخير فقد تناول ما جاء بكتب الرحالة في القرن الثامن عشر وهي تشير بوضوح إلى سيطرة المنتفك على مقدرات منطقة الجزائر ، ولعل اهم ماتوصل اليه البحث ، أنَّ انطباعات الرحالة عن الجزائر لا تتجاوز بالغالب الوصف العام ، إذ لانجد ألّا اليسير من التفاوت في تقديم صورة أوسع ، فضلاً عن أنَّها لا تخلو من تحامل على سكانها .

المقدمة

تُعَدَّ كتب الرحلات من المصادر المهمة لدراسة تاريخ العراق في العصر الحديث ، إذْ لا تكمن تلك الأهمية في عددها الضخم فحسب وإنَّما في مادتها ومنهجيتها التي تناولت جوانب مختلفة في تاريخنا ممّا تفتقر اليها مصادرنا المحلية في الغالب ، لكن معلوماتنا غير دقيقة عن عدد تلك الرحلات بالضبط ، إذْ ذكر لونكريك ستاً وتسعين منها ، أغلبها أوربية لكن معرفتنا بها ما زالت قليلة جدا"[١] ؛ لأن ما تُرجمَ منها أو كُتِبَ عنها يعد قليلاً بالنسبة الى ما محفوظ منها بلغات مختلفة في جامعات الغرب ومكتباته[٢].

وتكتنز كتب الرحلات فوائد تتجاوز حدود التاريخ إلى حقل المعرفة الجغرافية لتشخيصها المسالك والحدود الرابطة ، وتوصيفها للطقس والمناخ ، وتمتد فوائدها إلى حقول الانثربولوجيا المتعلقة برصدها لطبائع الناس ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ، وبعض خصوص ثقافتهم ومذاهبهم وكل ما يثير الرحالة ؛ لذا تتعمق أهمية النص الرحلي عند توظيفه في مجال الكتابة التاريخية بوصفه مادة أولية[٣] ، لرصد بعض جوانب الحياة في مجتمع معين خلال مدّة زمنية محددة[٤] .

مما لاشك فيه أنَّ أهداف أولئك الرحالة وغاياتهم متعددة ومتباينة لكنها تعكس العناية المتزايدة بالشرق من القوى الأوربية منذ مطلع القرن السابع عشر عندما بدأت البوادر الأولى لصراعاتها من أجل السيطرة والتوسع فيما وراء البحار ، وبذلك وفّر الرحالة معلومات مهمة وقيمة لحكوماتهم وبلدانهم عن المناطق والاصقاع التي زاروها ، لكن ذلك يجب أنْ لا ينسينا الدافع الفردي وحب الاطلاع والمغامرة الذي كان وراء كثير من تلك الرحلات وخاصة تلك التي بدأت في أثناء عصر النهضة الاوربية وبعدها التي اكدت على قدرات الانسان وطاقاته الخلاقة ودعوتها لاكتشاف المجهول[٥]، والتطلع الى ثقافات ولغات جديدة يلقح بها الاوربي ثقافته ويراكم معرفته وينفتح على المجتمعات الأخرى غير الأوربية ، إلّا أنَّ انفتاح عصر التنوير وعقلانية وافكاره عجزت عن تحقيق أهدافها الإنسانية وتحولت الى أيديولوجيا لخدمة الدولة البرجوازية الجديدة ، إذْ أخذت بعض الجمعيات والشركات الكبرى تمويل بعض الرحالة مقابل أنْ يقدموا لها ما تسفر عنه دراستهم[٦] .

ومهما تكن غايات تلك الرحلات وأهدافها فقد احتلت البصرة مكانة بارزة فيها ؛ وذلك بسبب أهميتها التجارية في العصر الحديث ، وشهرتها التاريخية المعروفة ، وموقعها الاستراتيجي المهم[٧]. لكن بالرغم من ذلك ، لم تذكر تلك الرحلات معلومات كافية عن الأحوال العامة لمنطقة جزائر البصرة[٨] ، وقد يكون سبب ذلك ماذكرة غافن يونغ : "كان العالم يجهل عرب الأهوار ... لم يكن من المستحسن ولا المأمون التجوال بين هولاء الناس في هذه المنطقة البعيدة" ، فضلا" عن ذلك أنَّ اغلب الرحالة كانوا يسافرون من البصرة إلى بغداد عن طريق نهر دجلة ولا يتسنى لهم المرور بتلك المنطقة التي تقع على نهر الفرات ، فيما يتخذ البعض الطريق الصحراوي عن طريق الزبير[٩] .

على أية حال ، ان الرحالة الذين مروا بمنطقة الجزائر لم يتوقفوا بها ؛ إذْ إنَّ السفن تتوقف في القرنة لدفع الضرائب وللاستراحة قبل وصولها للجزائر(١٠) ؛ لذا جاءت حصة جزائر البصرة في بطون كتب الرحلات شحيحة ، لأنَّ مرور سائح لمدة قليلة لايعطيه فرصة كافية لتدوين انطباعاته بشكل وافٍ ؛ إذْ إنَّهم اكتفوا بالتنويه لأخبار عامة ، فقد دونوا ماوقع تحت أعينهم وما لفت أنظارهم وما أثار انطباعهم على ما فيها من تحيز وتحامل في بعض الأحيان .

أولاً : جزائر البصرة في كتابات الرحالة الاجانب في النصف الثاني من القرن السادس عشر

إنَّ الرحالة في القرن السادس عشر لم يذكروا معلومات كافية عن أحوال المنطقة ؛ لأنَّ أولئك الرحالة الذين زاروا البصرة آنذاك كانوا إمّا من التجار أو من حملة البريد الذين لا يهتمون بمثل تلك الأحوال أو لم يستقروا في المدينة مدة طويلة(١١) ، وبعضهم جاء من أجل المزارات المسيحية التي لاتوجد في هذه المنطقة ، ولذلك جاءت رحلاتهم سريعة ، كما اتسمت كتاباتهم بعدم الدقة فجاءت في صورة جمل قصيرة جافة(١٢) .

وفي غضون ذلك ، مع نهاية النصف الاول من القرن السادس عشر حاول العثمانيون السيطرة على الجزائر بعد ان تمكنوا من اخضاع البصرة لسيطرتهم عام ١٥٤٦ . إذْ توجهت في عام ١٥٤٩ حملة عسكرية إلى المْدَيْنَة(١٣) التي اتخذها الثوار مركزاً قيادياً لهم، وتشير المعلومات التي أوردها نظمي زاده " أن العثمانيين كانوا قد فرضوا حصاراً كبيراً على المْدَيْنَة واستخدموا كل أنواع المدفعية والبنادق لإخضاع الثوار إلا أنهم تصدوا للقوات العثمانية وقد إتخذ القتالبين الطرفين شكل الملاحم الأسطورية "(١٤)، وإستمرت الحرب بين العسكرين حوالي أربعة أيام، لم يقوى ابن عليان(١٥) بعدها على المقاومة فأستولت العساكر العثمانية على الجزائر(١٦)، عندها إضطر إبن عليان إلى طلب الصلح(١٧). ولكن من خلال الوثائق العثمانية ، إنَّ منطقة المْدَيْنَة والجزائر لم تتم السيطرة العثمانية الفعلية عليها إلّا عام ١٥٥٢م ، وقد سعى العثمانيون بعد فتحهم لقلعة المْدَيْنَة– التي وُصِفَتْ بأنَّها "أعظم قلاع الجزائر وأحصنها" – إلى تنظيم الشؤون العسكرية والإدارية فيها إسوة بمناطق البصرة الأخرى، وعليه وجّه الديوان الهمايوني (السلطاني) في إستنبول في ٢٩ جمادي الاولى٩٥٩هـ الموافق ٢٣أيّار١٥٥٢م أوامره إلى والي

بغداد علي باشا لبذل قصارى مساعيه في مسألة إصلاح الجزائر على أنْ تواصل القوات الموجودة معه – من ديار بكر وقرمان والقبوقوليه – المكلفة بالسيطرةعلى المنطقة البقاء في الخدمة على أن يحتفظ منها بما يحتاج اليه لحين استقرار الأوضاع في المنطقة، والسعي بكل جهده للقبض على ابن عليان– الذي وُصِفَ بـــ((المفسد))– مؤكداً ضرورة ((تطهير البلاد منه)) ؛ لأنَّ بقاءه فيها يجعلها عرضة للاضطراب الدائم[١٨].

وبناءً على ذلك ، أمر الديوان الهمايوني والي بغداد علي باشا في ٢٩ تموز١٥٥٢م بتحويل قلعة ((المْدَيْنَة والجزائر)) إلى ((ولاية)) مستقلة[١٩]، وأصدر في اليوم ذاته حكماً سلطانياً إلى والي البصرة قباذ باشا يقضي بتفويضه أمر ولاية ((المْدَيْنَة والجزائر))، وأكد عليه بأنْ يكون ((مجداً وغيوراً في إحياء وإعمار وحفظ وحماية الولاية))، وطبقا لما ورد في الحكم ذاته ، فقد تم تخفيض وضع البصرة الإداري بتحويلها من ولاية إلى لواء (سنجق) تابع للولاية الجديدة وعيَّن محمد بن قباذ باشا أميراً للواء البصرة، وفوّض الحكم قباذ باشا النظر في أمور الولاية واللواء معاً، وفوّض إليه كذلك أمر الأماكن المفتوحة من الولاية ، وأن يقوم بتصحيح وضعها وإصلاحها بكل الطرق الممكنة سواء بالاستمالة أم السيطرة[٢٠].

إلّا أنْ ذلك الوضع لم يستمر طويلاً إذْ أخذت السيطرة العثمانية على الجزائر بالضعف تدريجيا أمام مقاومة العشائر الرافضة للوجود العثماني والمنضوية تحت لواء آل عليان ، لذلك استعان والي البصرة مصطفى باشا بسيدي علي ريس لمواجهة ابن عليان ، ولكن باءت حملته بالفشل[٢١].

وذلك ما أكده سيدي علي ريس في رحلته عام ١٥٥٣ م والتي تعد أول رحلة شهدها العراق خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر ، وكان هدفها نقل قطع الأسطول العثماني المرابط في البصرة الى ميناء السويس بمصر[٢٢] . وفي أثناء اقامته في البصرة كلّفه والي البصرة العثماني مصطفى باشا بالتحرك على رأس أسطول قوامه خمس سفن حربية نحو الجزائر لمواجهة ابن عليان[٢٣] ، وقد ذكر سيدي علي أنَّ مصطفى باشا أوصاه : "منبها علي بألّا ألحق الضرر بها ، وذهبت مع جند مصر الموجودين في السفن ... ولم يتيسر فتح القلعة لحكمة يعلمها الله ، واستشهد هناك مايزيد على مئة من رفاقي من رماة البنادق المهرة"[٢٤] ، إذْ كان مصطفى باشا حينذاك يواجه خطرين في آن واحد وهما: قوة المشعشعين في الحويزة، وآل

عليان في الجزائر ، فقرر أنْ يهاجم الحويزة بنفسه ، ويكلف سيدي علي لمعاونته في مهاجمة آل عليان في السفن التي تحت قيادته في البصرة[٢٥] .

وعلى اثر فشل تلك الحملة شهدت منطقة الجزائر والبصرة اضطرابات عنيفة تمثلت بعزم ابن عليان طرد العثمانيين من البصرة ، وباشر هجماته حتى هدّد أسوارها، فبات الوالي العثماني قلقاً عما ينجم من تلك الحركات التي أدت إلى ضعف نفوذه خارج الأسوار، وإن الوالي ((حكمه لم يتعدَ خندق المدينة إلّا قليلاً))[٢٦].

ونستدل على ذلك الواقع من خلال الكتابات المعاصرة لتلك المدة، لاسيما الانطباعات التي أوردها الرحالة الأجانب الذين زاروا البصرة خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد ومنهم الرحالة الايطالي سيزار فيدريجي(Cesar federici) ، الذي زار البصرة عام ١٥٦٣ فقد ذكر أنَّ البصرة كان يحكمها عرب الجزائر ، مبينا": " اما الان فهي تخضع للسيطرة التركية ، الذي تحتفظ بقوة عسكرية كبيرة لإدارتها " ، ويورد الرحالة معلومات لها قيمتها في استقراء الوضع في منطقة الجزائر إذْ ذكر : " أمَّا العرب الجزائريون فلهم بلد كبير ، ويرفضون الخضوع للحكم التركي الذي لا يستطيع إخضاعهم لما في بلدهم من قنوات كثيرة تتصل بالبحر [نهر الفرات] بحيث تتكون مواقعهم من عدة جزر ؛ لذا فالأتراك غير قادرين على توجيه أي جيش ضدها سواء براً أو بحراً ، ولأن سكانها شجعان مجبولون على الحرب ايضاً "[٢٧] .

أمّا المعلومات التي أوردها الرحالة الايطالي كاسبارو بالبي(Gasparo Balbi) الذي زار البصرة عام ١٥٨٠ فلا تختلف عن ما ذكره الرحالة في أعلاه ، إذْ كتب بأنَّ "الجزريون" إشارة لجزائر البصرة " يمتلكون الآن بلداً واسعاً حيث لا تصلهم يد الأتراك ، لأنَّ منطقتهم تخضع لعامل المد والجزر ، ومعظم أراضيهم تحيطها المياه فتصبح عند المد أشبه بالجزيرة بل قد يغمرها الماء ؛ لهذا السبب لا يستطيع الجيش النظامي التوغل فيها عن طريق الماء ولا عن طرق اليابسة ، وسكان هذه المناطق رجال قتال ؛ لذلك يتوجب على الاتراك ابقاء حامية كبيرة في البصرة تكلفها نفقات باهضة " ، فضلاً عن ذلك أشار إلى أنَّ البصرة كانت بقبضة عرب الجزائر ، لكنها حالياً تحت سيطرة الأتراك[٢٨].

ومن خلال إستعراضنا لما أورده الرحالتين السابقين نجد أنَّ هناك إشارات واضحة إلى مدى تأثير الثورات العشائرية المتكررة لأهل الجزائر بزعامة علي بن عليان على سلطة العثمانيين، لاسيما ثورتهم عام ١٥٦٧ التي على أثرها قاد اسكندر باشا حملة ضدهم بنفسه لم تشهد لها المنطقة مثيلاً من قبل[٢٩] ، وعلى الرغم من تلك الحملات العثمانية ضدها فإنَّ السلطات المحلية أو المركزية في بغداد لم تستطع القضاء على ثوراتها أو الحد منها ، وقد علّل ذلك الرحالة الإنكليزي جون ايلدرد(John liderd) الذي زار البصرة عام ١٥٨٣ بقوله: " إنَّ تلك العشائر تتمتع بمواقع حصينة في الأهوار ، وغير مستقرة في مكان واحد مع عوائلها "[٣٠]، مما جعل العثمانيين يضعون لآل عليان شأناً في حساباتهم وهذا ما أكدته الوثائق العثمانية التي أوردها امنبر(Aminbr) في أطروحته للدكتوراه، بأنَّ العثمانيين الذين كانوا يرغبون في تقوية نفوذهم في جنوب العراق وبالذات البصرة كانوا يترددون في إرسال سفنهم من بيره جك[٣١] إلى البصرة وذلك خشية تعرض آل عليان[٣٢].

وعن تلك المدة نفسها يحدثنا الرحالة الانكليزي جون نيوبري(John Newbery) الذي زار البصرة عام ١٥٨٣ ويذهب الى ما ذهب إليه فيدريجي وبالبي مشيراً الى بعض الجوانب المظهرية وتفاصيل ازياء عرب الجزائر ، إذْ يقول : " ليس بمقدور الأتراك اخضاع بعض هولاء العرب لأنَّهم يسيطرون على بعض الجزر الواقعة على نهر الفرات التي يتعذر على الاتراك السيطرة عليها ، فهم مجبولون على السرقة ،وليس لهم منازل ثابتة وإنمَّا يتنقلون من مكان إلى آخر مع جمالهم وماعزهم وخيولهم وزوجاتهم وأبنائهم وكل شيء ، ويرتدون عباءات زرقاء واسعة ، وتلبس نساؤهم في أذانهن وأنوفهن حلقات نحاسية وفضية وخلاخل نحاسية حول أرجلهن " ، مؤكداً أنَّ البصرة كانت خاضعة لحكمهم ، " لكنها الآن خاضعة للسلطان التركي "[٣٣] .

مما لا شك فية ان الرحالة نيوبري لم يكن دقيقاً برسم صورة لما يملكه سكان الجزائر من ثروة حيونية ، إذْ ان بيئتها لم تصلح لتربية الجمال التي تعيش في البيئة الصحراوية ، إذ ان الجاموس هو الانسب لها لاسيما وهم يعيشون في جزر غالباً ما تغطيها المياه .

أمّا الرحالة الانكليزي رالف فتش(Ralph Fitch) الذي مكث في البصرة من مايس الى تموز عام ١٥٨٣ لم يختلف عن سابقية من الرحالة عمّا أورده عن جزائر البصرة ، واصفاً

سكانها : " جميع هولاء لصوص وليس لهم مكان ثابت يستقرون فيه ، وإنمّا يتنقلون من مكان إلى آخر مع جمالهم وماعزهم وخيولهم وزوجاتهم واطفالهم وكل شيء ، وهم يرتدون عباءات واسعة نيلية اللون ، وتملأ أنوف زوجاتهم وأذانهن حلقات نحاسية وفضية تطلق رنيناً ، ويلبسن في معاصم أرجلهن حلقات نحاسية "[٣٤] .

يتضح من خلال ما سبق أنَّ كثيراً من المعلومات التي أوردها الرحالة بالبي ونيوبري وفتش مشابهة للمعلومات التي ذكرها قبلهم الرحالة الايطالي سيزار فيدريجي ، وربَّما كانا قد اطلعا على كتاب رحلته قبل توجههم الى المنطقة أو نقلا ما اورده في رحلته[٣٥] ، والملاحظ أنَّ انطباعاتهم واحدة بما فيه تحاملهم على سكان المنطقة ، لاسيما وصفهم بأنَّهم ((لصوص)) ، وذلك يؤكد تؤثرهم بوجهة نظر العثمانين تجاه المنطقة وزعيمهم إبن عليان- الذي وصفوه بـــ((المفسد))- مؤكدين ضرورة ((تطهير البلاد منه))[٣٦].

وفي الأحوال كافة ، إنَّ تاريخ العقود الثلاث الأخيرة من القرن السادس عشر يشهد ببقاء منطقة الجزائر بعيداً عن السيطرة العثمانية[٣٧]،

ثانياً : جزائر البصرة في كتابات الرحالة الأجانب في القرن السابع عشر

مع نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر بدأ انتقال السلطة السياسية في البصرة الى إفراسياب[٣٨] ، الذي اشترى إمارة البصرة من الوالي العثماني بثمانية أكياس من الذهب وعزز قوته فيها[٣٩] ، واستمر والياً عليها لمدة سبع سنوات ثم خلفه ابنه علي باشا عام ١٦٠٣م[٤٠]، الذي تمكن من اخضاع الجزائر لسلطته[٤١] ، ويذكر الشيخ فتح الله الكعبي بهذا الصدد أن علي باشا " خضد شوكة سكانها الذين صار خضوعهم منذ ذلك الحين مضرباً للأمثال "[٤٢].

وتعد رحلة البرتغالي بيدرو تيخيرا (Pedro Texrea) أولى الرحلات الى المنطقة في مطلع القرن السابع عشر ، إذْ وصف منطقة شمال البصرة وجزائرها عام ١٦٠٤ ، أنَّ ارضها " خصبة ومزروعة فيها بساتين نخيل شاسعة وبساتين فاكهة وحدائق " ويضيف أنَّ على " الشواطىء شاهدنا قطعاناً وأسراباً كثيرة وطيور وأوز وبط ودجاج وبهائم أخرى ، أمّا السكان

فهم من العرب الذين يتواصلون فيما بينهم سباحة على جلود منفوخة ، وقد جاء الكثير منهم إلى سفينتنا لبيع الدجاج البحري والأوز والحليب والزبدة والتمور وغيرها من الأطعمة وكلها بأسعار زهيدة جداً "[٤٣] ، وقد سجل العديد من الرحالة ملاحظاتهم حول النشاط الزراعي في جزائر البصرة ، إذْ كانت الزراعة المهنة الرئيسة لسكانها لذلك كانت ايراداتها المالية وفيرة وذلك يتضح من خلال الكمرك المفروض على تلك المنتجات ، وذلك يؤكده ما ورد في مخطوطة السيد علي خان الموسوي المشعشعي عن واردات الكمرك السنوية لشمال البصرة في عهد علي باشا إفراسياب بما فيها الجزائر ، ما نصه: "...ونهاية معمورية البصرة في أيامه إلى نهاية ، بلغ قمرقها ثمانين ألف تومان، الحَمّار ونواحيه من الغراف وغيره اثنا عشر ألف تومان، والجزائر مثله، وشط العرب من حد البصرة إلى القرنة شمال من الصفحتين من السويب وسحاب ثلاثة ألاف تومان ، والجنوب من الصفحتين من كارون والحفار والقبان سبعة آلاف تومان ، وإسكلة السفن الغريبة الرومية خمسة آلاف تومان ، وطمغة القرنة أربعمائة تومان..."[٤٤].

أمّا الرحالة الايطالي بترو ديللافاليه(Pietro della Valle) فلم يسهب بمعلومات وافية عند مروره بالمنطقة عام ١٦٢٥ اذ اقتصرت إشارته على أنّه : " في هذه الأيام الأخيرة أي في ٢٣ – ٢٥ حزيران كنا نسير وعن يميننا الجوازر [الجزائر] وهي اهوار كلدية ، ورأيت في الطريق اشجار قصيرة نادرة تشبه العرعر "[٤٥] . ومن المؤكد أنّه ليس شجر العرعر ، وهذا ما اكدته الوثائق العثمانية ؛ إذْ اشارت الى أنّه بعد بدء الاستعداد في ولاية البصرة لتوفير مايلزم للقيام بالحملة العسكرية على الجزائر ، إذ فاتح والي البصرة الديوان الهمايوني للموافقة على صنع المدافع محلياً في الولاية معتمداً على الخبراء المهرة لديه، والتمس الديوان إرسال المواد اللازمة من الولايات الأخرى للقيام بذلك العمل ومنها حطب شجر((العرعر))، ويبدو أنّه من أنواع الحطب المستخدَم لإيقاد أفران صهر المعادن ولم يكن متوافراً في ولاية البصرة ، إذ طلب إرسال مائتي ((كلك)) منه [٤٦] ، وعليه أصدر الديوان أوامره إلى والي شهرزور لتأمين طلبات والي البصرة من حطب شجر((العرعر)) دون تأخير[٤٧] .

وبعد ذلك ، وصل الرحالة الفرنسي لابولي لوغوز (la Boullaye Le Gouz) إلى ملتقى نهري دجلة والفرات قادماً من مركز البصرة متَّجهاً إلى بغداد في ٣ ايار عام ١٦٤٩ ،

وتحدث عن وجود حامية عسكرية في القرنة لإخضاع عرب المناطق المجاورة[٤٨] ، ربما يقصد بها منطقة الجزائر بصفتها الاقرب للقرنة اخذين بنظر الاعتبار عدم استقرارها طيلة المدة السابقة لما شهدته من اضطرابات على يد ابن عليان ، تبعاً لذلك فقدت المْدَيْنَة والجزائر أهميتها بعد أنْ كانت مركزاً قيادياً للثوار[٤٩] ، وحوّل علي باشا افراسياب اهتمامه إلى القرنة وجعلها مقرا عسكريا لعموم المنطقة[٥٠].

يتضح أنَّ علي باشا كان واعياً في وضع حامية عسكرية في القرنة ، لانها المكان الانسب لردع الثورات المضادة للسلطة العثمانية في المْدَيْنَة ، التي كانت على مدى قرنين مثار قلق للحكومات المتعاقبة ، لذا جعل القرنة مدينة حربية وقلعة حصينة في ايام حكمه إذْ جعلها المركز الطليعي لجيوشه فعمل على إعادة مراكز الدفاع فيها فأتقن بناءها وجعلها قلعة كبيرة سُمّيَتْ نسبة إلى اسمه بـــ (العلية)[٥١].

ومن ناحية اخرى فقد سجل لوغوز اعجابه بمهارة النساء لعبورهن النهر سباحة بقوله : " تعبر النساء نهري دجلة والفرات بكل سهولة كالرجال بواسطة القِرَبْ بعد أنْ يربطن ملابسهن بقوة ، ويستخدمن القرب للعوم بعد أنْ يضعنها تحت بطونهن ، ثم يضربن الماء بأرجلهن ، فتطفوا أجسامهن فوق الماء بكل سهولة وهكذا يعبرن هذين النهرين "[٥٢] .

وقد سجل الرحالة الفرنسي جان بابتيست تافرنييه (Jean Baptiste Tavernier) عام ١٦٥٢ ملاحظاته حول النشاط الزراعي في الجزائر ، إذْ ابدى إعجابه بخصوبة أرضها بقوله : " لاشك أنَّ هذه الأراضي من أحسن ما يملكه السلطان ؛ لاشتمالها على مراعٍ واسعة ، ومروج نظيرة يُربَّى فيها عدد كبير من الحيوانات ، خاصة الأفراس والجواميس " ، وفي إشارته إلى الجاموس ذكر محاسنها قائلاً : " مدة حمل الجاموس اثنا عشر شهراً ، وهي تدر حليباً وافراً جداً "[٥٣] . وفي ذلك الخصوص لم يكن تافرنييه دقيقاً ، إذْ ان مدة حمل الجاموس بين العشرة والاحد عشر شهراً .

أمّا الرحالة الايطالي سبستياني (Sebastiani) فقد سجل مشاهداته عن المنطقة اثناء مروره بها عام ١٦٥٦م ، وقد ذكر ما لم يتناوله أحد قبله إذْ ذكر القرى والقلاع في منطقة الجزائر ، ومما جاء في رحلته : " وسط صفوف من النخيل والأشجار المثمرة المختلفةتقوم على جانبيه [نهر الفرات] قرى صغيرة وقلاع متناثرة شيدت من اللبن ، من هذه القرى المنصورية

(او بني منصور) .... والمدينة وتقابلها الفتحية[٥٤] وأخيراً القرنة "[٥٥] ، وإنَّ هذه القرى هي عبارة عن ألوية تابعة لولاية البصرة ، ومن الألوية التي ورد ذكرها في السجلات العثمانية في منطقة الجزائر وقد اغفل عنها سبستياني هي ((الرحمانية، نهر عنتر، المْدَيْنَة، حمار، فتحية ، وطّرة الجزاير ، معدان ، قناهية ، واقي)) وما تزال أغلب تلك المواضع تُسمَّى بأسمائها حتى هذا التاريخ[٥٦].

فيما ذكر الرحالة الفرنسي جان دي تيفينو (Jean de Thevenot) عام ١٦٦٥م أهمية الموقع الجغرافي لمنطقة الجزائر بالنسبة لوالي البصرة حسين باشا الذي تولى الامارة بعد وفاة والده علي إفراسياب سنة ١٦٤٧م ، مشيراً إلى أنَّها " تبعد يومين عن البصرة ... وأنَّ والي البصرة بمأمن نسبي من مباغتات والي بغداد الذي لايستطيع مهاجمة البصرة مالم يسيطر على الجزيرة [الجزائر] اولاً "[٥٧] .

إلَّا أنَّ ذلك لم يمنع الدولة العثمانية التي بقيت تنتظر الفرصة المناسبة لإعادة سلطتها المباشرة على البصرة ، لاسيما أنَّ حسين باشا لم يتصف بصفات الكياسة التي كان يتصف بها والده علي باشا ، فقد استبدَّ بالأمور ، وأساء السيرة والتدبير، وظلم الناس[٥٨] ، وإنَّه ازدرى باشا بغداد العثماني ، وبدأ يجمع الكودة[٥٩] عن أغنام وجاموس القبائل المعترف بتابعيتها لبغداد[٦٠] ، فضلاً عن ذلك جهّز عام ١٦٦٤م جيشاً لمهاجمة الإحساء ، وطرد متصرفها محمد باشا الذي ذهب إلى اسطنبول شاكياً تلك الأفعال[٦١]، فأمر السلطان العثماني عام ١٦٦٥م، والي بغداد إبراهيم باشا بتجهيز حملة ضد حسين باشا[٦٢] . تحرك مصطفى باشا بجيشه في الرابع والعشرين من تشرين الثاني ١٦٦٧م[٦٣]، وتشير المصادر إلى أنَّ الجيش العثماني قد جاء لمواجهة حسين باشا عن طريق العرجا[٦٤] سالكاً طريق نهر الفرات باتجاه القرنة لمواجهة جيش حسين باشا الذي كان يتمركز في الفتحية ، فلما وصلوا وجدوا حسين باشا قد غادرها متوجها إلى القرنة وكان يتوجس خيفة من أنْ يقع في قبضة العثمانيين لكن ذلك قد تبدد بعد أنْ تجمع حوله جموع كبيرة من أهل الجزائر، وهكذا استعد للقتال فجاءه إبراهيم باشا بعسكر عظيم إلى القرنة فحاصرها[٦٥].ودارت معركة طاحنة انتهت بانهزام حسين باشا وجنوده ودخل العثمانيون القرنة ، وقد ذكر الكعبي أنَّ عدد القتلى في المعركة بلغ أربعة آلاف مقاتل، ويصف الكعبي حال

أهل الجزائر أثناء ذلك فقال: " أهل الجزائر ملؤا الفلا بلا ولا ... إنَّهم خرجوا من الأجداث كالجراد المنتشر " وذكر أنَّهم توجهوا مشياً إلى الحويزة(٦٦).

وبعد أنْ فرض العثمانيون سيطرتهم على البصرة بدأ الناس بالعودة إلى ديارهم وقد صور الكعبي واصفاً حال أهل الجزائر بعد عودتهم إلى مواطنهم قائلاً: " فإذا أنا بجماعة جمه وأمه من الناس أي أمة، أولي وجوه مصفرة وأحوال مغبرة، وقد خامرهم العنا، وعلاهم الفنا، فسألت ما لهؤلاء الجماعة، فقيل ما بهم من الداء إلْا داء المجاعة، ... فاستفهمتهم من أي العشائر، فقيل لي من أهل الجزائر، فالتاع لهم قلبي، وارتاع لهم لبي "(٦٧).

وتظهر النصوص التي دونها الرحالة الفرنسي الأب بارثيلمي كاريه (Barthelemy Carre) حول مشاهداته في منطقة الجزائر عند مروره فيها عام ١٦٧٤م خضوع الجزائر لسلطة العثمانيين، وقد أشار كاريه في رحلته الى الجزائر وسكانها ، وأماكن تواجدهم ، واسماء القرى التي مرَّ بها ، وهو دقيق بوصفه إذْ تميز عن غيره من الرحالة بالدقة في مسألة تحديد وقت مغادرته من مكان معين ، وتحديد وقت وصوله إلى مكان آخر وهو أمر يغفله بعض الرحالة ، كونهم سجلوا احداث رحلاتهم لاحقاً أثر عودتهم إلى بلدانهم ، ويمكن القول ان ما كتبه كاريه له اهمية وقيمة في توثيق جوانب أساسية من تاريخ المنطقة ، وقد جاء في مدوناته : " الاثنين ٣٠ نيسان غادرنا القرنة صباحاً وعدنا إلى نهر الفرات مجدداً ، فأبحرنا فيه بيسر صعوداً طول اليوم ، واحرزنا تقدماً جيداً بمساعدة الرياح المؤاتية والتيار القوي ، وعند منتصف النهار نزلنا عند فتحية وهي بلدة عربية صغيرة لا بأس بها تقع على ضفاف النهر الذي يسقي هذه المنطقة من خلال عدد من التيارات الصغيرة التي تفصل بساتين الفواكه والحدائق ، وهذة البساتين والحدائق مضللة بأنواع كثيرة من الأشجار المثمرة الذي يقصدها سكان هذه المنطقة العرب " ، فضلاً عن ذلك فقد اشار الى ما يؤكد عودة الجزائر للسيطرة العثمانية المباشرة من خلال وجود الموظفيين والجنود العثمانيين فذكر: "هناك ايضاً اغا تركي وبعض الانكشارية كانوا يجمعون ضرائب والي البصرة ، وقد عاملوني بكثير من اللطف خلال الساعات القليلة " ، وتحدث كاريه عن مخاطر تواجده في الجزائر إذْ افاد قائلاً : " وغادرنا في نحو الساعة الثالثة وواصلنا سيرنا حتى الساعة التاسعة ليلاً ، حينما ارسينا دانقنا بالقرب من الشاطىء وقضينا الوقت المتبقي تحت الحراسة والمراقبة المستمرة لئلا يباغتنا الجنود العرب الذين يتسللون بين

الغابات والاحراش إلى الضفاف ليلاً وغالباً مايستولون على قوارب التجار المتقدمة أعلى النهر ؛ لأنهم يضطرون للتوقف في كل مساء ويرسون قواربهم بالقرب من ضفاف النهر "[٦٨] .

ويبدو أنَّ الانطباع السائد عن أهل الجزائر ذو أثر سلبي لمن يمر عبر هذة المنطقة ، وهذا ما شاهده كاريه قائلاً : "وكنت مندهشاً جداً لرؤية ثلاثين تركياً مسافرين وبحارة على حد سواء في حالة ذعر مستمرة ، فقد كانوا هم وخدمي مسلحين بالسيوف المعقوفة ، والرماح ، والبنادق ، والمسدسات ، والاقواس ، ومتأهبين للرمي ، وسرعان ما شاهدنا قوارب عربية تعبر النهر من جانب الى آخر "[٦٩] .

أمّا بخصوص نهر صالح[٧٠] احد قرى الجزائر ، ومقر امارة آل عليان سابقاً فحدثنا كاريه عند دخوله إليها في الأول من مايس قائلاً : " دخلنا قناة كبيرة أخذتنا إلى نهر صالح وهناك نزلت مع بعض رفاقي الاتراك وقمنا بزيارة البلدة التي تقع وسط الاهوار التي تكاد تكون مغطاة بالأشجار من جميع الجهات ، وأرضها خصبة بسبب غرين شط العرب [الفرات] ، والمدينة مبنّية بشكل غير منتظم باستثناء البازارات (الأسواق) الطويلة ، أمّا مساكنها فهي على شكل مجموعات صغيرة بسبب العدد الكبير من القنوات الصغيرة التي تشطر المكان ، والسكان كلهم من العرب ، ومنهم بعض التجار الذين يتاجرون في الورش المحلية "[٧١] . ويبدو ان كاريه لم يلاحظ ان الجزائر تضم بين سكانها أبناء الطائفة الصابئية الذين كانوا يستوطنون مناطق المدَّيْنَة ونهر صالح وهم من قبيلة ((الجحيلية)) الصابئية[٧٢] ، التي تعايشت مع سكان المنطقة ، ولعبت دوراً في عملية الإنتاج الاجتماعي ، فصناعة القوارب وآلات الحصاد والحدادة وصياغة المينا (النقش على الفضة) اصبحت حكراً على الصابئة المندائيين[٧٣] ، وربما هم من برعوا في تكوين تلك الورش المحلية لتصريف منتجاتهم .

ثالثاً : جزائر البصرة في كتابات الرحالة الأجانب في القرن الثامن عشر

في مطلع القرن الثامن عشر ، وبعد تلك الأحداث الدامية والانتفاضات القبلية الرافضة للاحتلال التي دامت لثلاثة قرون في مناطق جنوب العراق ولا سيما في منطقة الجزائر[٧٤]، أدركت الدولة العثمانية أهمية الاتحادات العشائرية في إخضاع تلك القبائل، لاسيما المنتفق المهيمنة على معظم سكان منطقة الفرات الجنوبية سواء كانوا من المزارعين أم الرعاة أم سكان

الأهوار والتي تعد المدينة والجزائر جزءا منها[٧٥] ؛ لذا فوضت الدولة العثمانية حاصلات البصرة على ما حازته من الأهمية العظمى إلى مشايخ المنتفق مقابل نقود معينه[٧٦]،وبهذا سيطر أمراء المنتفق على عشائر كثيرة ، اتخذوا من نهر عنتر مقراً لهم لإدارة شؤون إقطاعاتهم في منطقة الجزائر .

وبطبيعة الحال ، يمكننا أنْ نطلق على القرن الثامن عشر قرن الرحالة الباحثين عن المعرفة ، فالرحالة الذي رأيناه سابقاً اختفى ، وحل محله المستكشف الذي مهما بلغ به حب المغامرة والجرأة إلّا أنّه يرى وبعد وصف تلك البلاد جزءاً من مهمته الأصلية ، وذلك بأن يكتب وصفاً دقيقاً لما رأه ومارسه وقاساه أحياناً في تلك البلاد[٧٧] .

بالرغم من ذلك فأنَّ الصورة لجزائر البصرة تكاد تكون واحدة ، مما يفسر ثبات الظروف والمؤثرات الفاعلة في صياغة التكوين الاجتماعي ، ومن ثمَّ كانت المتغيرات محدودة وبطيئة ، وعلية لم يختلف عن سابقيه ما ذكره الرحالة الايطالي لياندرو الكرملي (Leanoro Carmelitano) عند مروره بالجزائر عام ١٧٣٩م ، فقد اختصر إشارته إلى الجزائر ووصفها عبر نظرة سطحية عامة قائلاً : " بعد أنْ امضيت أياماً قليلة في تلك المدينة [البصرة] استأجرت قارباً ليحملني الى الحلة عن طريق الفرات ، وقد لاحظت في سفري هذا وجود مستنقعات (الأهوار) مهيئةً لزراعة الرز ، لكنها في الوقت نفسه تُسبّب هواءً مضراً بالصحة "[٧٨] .

أمَّا الرحالة السويدي جان اوتر (Johan Otter) فقد مر بالجزائر قادماً من بغداد في حزيران عام ١٧٣٩ وقد ذكر في رحلته : " تكثر فيها الحبوب والمراعي والمواشي بوفرة " ، وإنَّ مكوثه في البصرة تزامن وأحداث عام ١٧٤١ حيث ((تمرد)) عرب المنتفك والعشائر التابعة لها في نهر عنتر في جزائر البصرة ، وعليه " توجه يحيى آغا في يوم الاثنين العاشر من نيسان نحو الثوار المتحصنين بالقرب من نهر عنتر الذي يبعد ست عشر ساعة من البصرة ... لكن ماجرى سوى مناورات بسيطة قام بها الوالي بعدها بإشاعة السلام وعاد الى بغداد "[٧٩]

وأوضح لنا اوتر معلومات مهمة بخصوص نهر عنتر عند مروره به اثناء مغادرته البصرة متّجهاً إلى بغداد عام ١٧٤٣ بعد أنْ وصل القرنة في ١١ أيّار ، وفي اليوم ذاته غادرها ، وقال : " ودخلت نهر الفرات ، وعند المساء مررت بنهر عنتر ، وهو قناة تنقل المياه من هذا النهر إلى الأراضي المحيطة به ، ورسم المرور هنا الذي يتقاضاه شيخ المنتفك مرتفع

الى حد ما ، وطالبني المحصّل بدفع رسم المرور فأخبرته إنَّ شيخ هذه القبيلة "عبد الله" صديقي ، وسوف اشتكي له منه عندما أراه ، فتوسل أنْ أعطيه بعض ليبرات من التبغ والقهوة ، فاعطيته مايريد وتخلصت منه باحترام كبير، وبخسارة قليلة " ، وعن سبب وجود المنتفك في نهر عنتر ، فيذكر: " وعادة مايُخيّم عرب المنتفك عند الصيف في هذه المناطق التي يشّقها نهر الفرات فيجعلها أكثر بهجة ووفرة بالكلأ والخضار والحبوب ، ويوجد هنا الشيخ عبد الله مع قبيلته " ، فضلاً عن ذلك أشار إلى شخصية الفرد العربي بتلك المنطقة بقوله : " يعطيهم الهواء النقي شعوراً بالاستقلالية ، وهم معتدون بأنفسهم وشجعان وجريئون وبواسل)) ، معللاً ذلك " باختصار فأن كلاً منهم يظن نفسه ملكاً في منطقته ، ويلزم المارة بدفع الرسوم أو يجبرهم بتقديم الهدايا "[٨٠] .

فضلاً عن ذلك لايخلو ما دوّنه اوتر من النظرة الإيجابية لسكان المنطقة حيث يذكر: " وقد شّوهت عمليات الابتزاز هذه سمعتهم بين الشعوب الأخرى ، ومع ذلك لابد الاعتراف ان بينهم كثيرون يتّسمون بالإنسانية وبفضائل مثل القناعة والبساطة والشجاعة والعفة والضيافة والكرم تجاه من يطلب حمايتهم ، وعقليتهم واسعة متوقدة وخارقة وعادلة " ، وفي حديثه عن نسائهم يقول : " وفتياتهم ونساؤهم عفيفات متحفظات ، وهنَّ لايجلبن العار لأسرهن وأزواجهن أبداً " ، ولاحظ اوتر موقف العشائر العدائي تجاه الدولة العثمانية ، ولم يغفل الرحالة الاشارة لصفات سكانها بقوله : " لايوجد لديهم معايير لعقوبة السرقة والقتل أبداً ، ومع ذلك فأنَّهم يعدون هذه الجرائم أشياء غريبة بين أبناء العشيرة ذاتها ، صحيح أنَّ الثأر موجود بين القبائل المختلفة لكنهم في هذه الحال يحللون كل ممتلكات القتلى كغنائم مثل الاموال المكتسبة شرعاً ، فلو طالبوا بفدية او نهبوا قافلة مارة عبر اراضيهم بالصدفة يقولون إنهَّم نهبوها انتقاماً من الاتراك والفرس ، فهم لا يستطيعون مطالبتهم بالضرائب في المناطق التي يسيطرون عليها ، وغالباً ما يغيرون عليهم ويسلبون مواشيهم ومحاصيلهم ويحولون حياتهم إلى جحيم "[٨١] ، ويختم اوتر رحلته في ديار الجزائر مع إشارة مهمة إلى أنَّ جميع المنطقة أصبحت تابعة إلى شيخ المنتفك قائلاً: " كنت لا أرغب الذهاب إلى الشيخ عبد الله أبداً ؛ لئلا يلمحني ويتعرف عليَّ احد رجاله ، فواصلت رحلتي ليلاً وخرجت من دياره "[٨٢] .

وفي السياق نفسه يشير الرحالة الدنماركي كارستن نيبور (Karsten Niebuhr) عام ١٧٦٥م إلى قبيلة المنتفك وسيطرتها على الجزائر ، وتمركزها في نهر عنتر حيث ذكر: " تعود لهذه القبيلة [المنتفك] تقريباً كافة القرى والمدن الصغيرة الواقعة على الساحل الغربي للفرات من البصرة الى العرجة ، ولها مثل هذه الممتلكات من القسم الكائن على الساحل الشرقي للنهر ، والممتدة من القرنة الى نفس المسافة بأتجاه الشمال ، تقيم هذه القبيلة بضعة أشهر في أطراف نهر عنتر "[٨٣] ، وبخصوص الضرائب يقول : " إنَّ نهر عنتر هو مقر شيخ قبيلة المنتفك ويجب أنْ تدفع كل السفن التي تمر منه رسماً كمركياً إلى ذلك الشيخ ايضاً وهو يسمح بأستيفائه من محل يسمَّى "تحتة" ، وفيما عدا البيت الذي يسكنه موظفوا الكمارك لاتوجد بيوت اخرى في هذا المحل وحتى الى قبل بضع سنوات ، وكانت السفن الصغيرة المحملة بالتمور تدفع هناك محمديتين فقد لاتكاد تعادل حتى نصف روبية ، الّا أنَّ عليهم الآن أنْ يدفعوا خمس روبيات "[٨٤] وبخصوص تسمية المنطقة يقول : " وتسمَّى المنطقة الواقعة على جانبي الفرات بالجزيرة [الجزائر] حيث أنَّ من المحتمل ان الجداول الكثيرة الموجودة في الوقت الحاضر والتي كانت أكثر عدداً في السابق مما هي عليه الآن تكون في اراضيها جزراً عديدة "[٨٥] ، ويضيف أنَّ الاراضي المعمورة فيها لاتتجاوز منها مسافة ساعتين ، وأنَّ الاراضي الصالحة للزراعة تمتد لمسافات بعيدة عن نهر الفرات ، أمّا القرى فقد أبدى نيبور استياءه من الوضعية العمرانية السيئة فيها فيصفها بأنَّها : " مشيدة على أتعس طراز ويتجلى منها أنَّ الشيوخ العرب لم يتركوا الشيء الكثير لسكانها المسالمين ، فالبيوت وأسوارها كلها من القصب ، والخلاصة أنَّني لم أصادف في أي مكان أكواخاً أردأ من أكواخ هذه المنطقة الخصبة بطبيعتها المشهورة منذ أقدم الازمنة حيث كانت منطقة غنية بالسكان "[٨٦] . يبدو أنَّ مناطق الجزائر وحافاتها كانت في تلك المدة أكثر استيطاناً من جنوب البصرة ، ويدل على ذلك ما أكده الحويزي بأنَّ علي باشا فتح أربعين قلعة في حملتة على ابن عليان عام ١٦٣٣م[٨٧] ، مما يعطي تصوراً عن مستوى الكثافة السكانية في المنطقة، وعلى الرغم من عدم توفر الإحصاءات عن أعداد السكان في المنطقة حينذاك فليس من المستبعد أنْ يكون الاستيطان فيها كبيراً نسبياً ويتضح ذلك من الحملات العسكرية العثمانية الكبيرة وكذلك حملات علي باشا التي جّهزَتْ لقمع ثوراتهم[٨٨]، إذْ كانت منطقة نهر عنتر والمناطق القريبة منه من أكثر المناطق سكاناً وأثبتها من بين ما يقارب مجموعة من مجموعات

المنازل العشائرية المماثلة لها[٨٩]، وكذلك ذكر فتح الله الكعبي أنَّ نهر عنتر هو أكبر مواضع الجزائر وقيل إنه مشتمل على ثلاثمائة نهر[٩٠]، وربما تعطيه هذه الخاصية بأن يكون أرضاً زراعية خصبة ساعدت على استيطان إعداد كبيرة من السكان فيه.

وفي يوم الخميس ١٠ تشرين الثاني عام ١٧٧٤ مرَّ الرحالة الاسكتلندي ابراهام بارسونز (Abraham Parsons) بمنطقة الجزائر قادماً من بغداد بأتجاه البصرة واصفاً أرضها قائلاً : " منذ الساعة العاشرة صباحاً كانت جهة مابين النهرين قد تغيرت نحو الاحسن كثيراً ، فلم نعد نشاهد المزيد من الأهوار والمستنقعات وإنَّما ارضاً ناعمة جميلة مزروعة جيداً تنتشر فيها الكثير من القرى المأهولة في السكان "[٩١] ، ومما جاء في رحلته : " عند الساعة الثانية بعد الظهر شاهدنا مسجدين لإمامين مسلمين كما يسميهما الاتراك والعرب ، وبضعة قوارب ذاهبة وآيبة عبر النهر الذي تنتشر القرى على كلا جانبيه ، ويقع أحد هذين المسجدين على ضفة النهر ، والآخر على الضفة الأخرى ، وكلاهما مبني بشكل هرمي ومتناظران كثيراً ، وعنهما روى احد رفاقنا الاتراك القصة الآتية : إنَّ المسجد الأول بُنِيَ على جهة بلاد كلدة ، احياءً لذكرى قائد مشهور ، قُتِلَ قبل نحو خمسمئة سنة "كما يُعتَقد" ، بالقرب من المنطقة التي بُنِيَ عليها هذا المسجد ، ولكن المبنى لم يُشَّيد إلَّا بعد أربعين سنة من وفاته ؛ إذْ لم يتم الاتفاق على المكان الذي دُفِنَ فيه ، وأصبح هذا القائد بمثابة ولي من الأولياء ، فبدأوا بالحفر في اماكن كثيرة بالقرب من القبر المفترض ، وأخيراً تم العثور على عظام بشرية ، فبنوا المسجد على البقعة التي فوق العظام ، فذاع صيته والتف حوله الأتباع وسواهم ، مما عاد بأرباح طائلة على القرية . وبعد عدة سنوات رأى أحد الدراويش المقدسين من القرية المقابلة "في جهة بلاد مابين النهرين" في الحلم أنَّ الولي قد قُتِلَ ودُفِنَ في منطقة ما بالقرب من قريته ، فقام بتوجيه الرجال للحفر في تلك المنطقة ، وفي أثناء الحفر عُثِرَ على عظام بشرية هناك ايضاً ، ولذلك غيّر الدراويش والأهالي رأيهم وصدقوا أنَّ المكان الثاني هو الصحيح ؛ لأنَّ الجميع استنتجوا أنَّ هذا الدرويش ملهم ، نتيجة لذلك جمعوا الأموال وأعادوا دفن عظام الولي باحتفال مهيب وإجلال عظيم ، وبنوا صرحاً تذكارياً يشبه تماماً الصرح المقابل ، الذي تحول كل اتباعه عنه بعد أنْ دفع القريبون من النصب الجديد مبالغ وهدايا عظيمة ، ولايرتاد هذا المكان إلَّا من يريد انفاق أو ترك أمواله للأعمال الخيرية ، ولاسيما استضافة الزوار واكرامهم "[٩٢] ، وذلك المسجد أو الضريح ورد

ذكره في مذكرات العديد من الرحالة سيرد ذكرهم لاحقاً وكان أولهم بارسونز ، اذ تشير المادة التاريخية المتوافرة إلى وجود الجوامع التي كانت بمثابة المراكز العلمية في منطقة الجزائر ، إذْ أشار السيد نعمة الله الجزائري إلى وجود ((مسجدٍ جامعٍ)) في نهر صالح – مقر أمراء آل عليان – كان يصلي فيه ((خاتمة المجتهدين)) الشيخ عبد النبي الجزائري[٩٣] ، وربما يقصد الرحالة بذلك ضريح الإمام احمد بن عيسى بن زيد[٩٤] الذي لا يزال شاخصاً إلى الآن في تلك المنطقة .

أمّا الرحالة البريطاني صموئيل ايفرز (Samuel Evers) الذي زار المنطقة في ١٣ آذار ١٧٧٩ فقد كتب عن الجزائر بصورة مقتضبة جداً ، وكان قادماً من القرنة عن طرق نهر الفرات قاصداً شيخ المنتفك ، حيث ذكر : "في نحو الساعة الرابعة عصراً وصلنا قرية عربية تدعى أبو قربوط[٩٥] ، وتبعد نصف نهار عن القرنة ، وكان بمقدورنا تفادي هذا المكان بسهولة لو لم يغير صديقنا الحاكم[٩٦] نيته في الذهاب معنا ، فاقترح تركنا هنا ، وتوفير "سيد معمم" يذهب معنا إلى منزل الشيخ ثامر " ، ويبدوا ذلك لضمان عدم التعرض لهم ، لما للسيد المعمم من شأن بتلك النواحي ، إذْ ترك ذلك اثرة لدية وكون انطباعاً حسناً تجاههم ، إذْ تحدث ايفرز عن السكان بقوله : " أمّا عن القوم هنا فقد تصرفوا بشكل مهذب معنا ولم يضايقونا "[٩٧] .

أمّا الرحالة الفرنسي الجغرافي دانفيل (Danville) الذي مر في المنطقة عام ١٧٧٩ قادماً من بغداد عن طريق نهر الفرات ، فلم يفصّل في الإشارة إلى المنطقة واكتفى بذكر نهر صالح ، ولم يشر الى شيء من الإيضاح عنه عندما مر به ، ولم يتطرق الى ما يمكن عده أمراً مهماً ، إذْ أشار بالقول : " من بين التفرعات الكثيرة لنهر الفرات على الجانب اليمنى ، وتتجه نحو القرنة مباشرةً ، ثم نهر يتميز عن بقية الأنهار ومعروف بتسميته ، ذلك هو "نهر صالح" أي نهر السلام والتحية ، الذي يتجه نحو الجنوب الشرقي ويشق طريقه بمجرى عريض عند اجتيازه منطقة مستوية جداً "[٩٨] .

أمّا الرحالة الايطالي دومينيكو سيستيني (Domenico Sestini) فقد مر بقرى الجزائر في عام ١٧٨١ عند تجاوزه القرنة في ٢٩ أيلول ذاهباً إلى الحلة عن طريق نهر الفرات ، كتب عن ثروتها الطبيعية وتجارتها ، وتحدث عن القصب والبردي ، والواقع أنَّ تلك المادة متوفرة بصورة كبيرة في المنطقة ، وقد رصد عدد من الرحالة أماكنها ، إذْ ذكر أنَّه : " ينتشر الكثير

من القصب والبردي في كل مكان على نحو شائع جداً ، ويعد مصدراً للتجارة ، ويُصنَع منه حصير الذي يباع في البصرة ويُستخدَم في تغطية الأرضيات ، وتتكون بعض خيام عرب الصحراء من هذا القصب الطويل ، أمّا القصب القصير فتصبح منه الزوارق الطويلة والنحيفة التي يقودها شخص واحد ، والقصب السميك يُستخدَم كمجاديف ، وهنا يصبح نهر الفرات عريضاً ، فضلاً عما يمتاز به من هيبة مثل "شط العرب" ، وفي كل مكان توجد طيور الماء ، ولاسيما اللقالق وبأعداد كبيرة " ، أمّا بخصوص القرى التي مر بها فيذكر: " بعد ذلك شاهدنا قرية تُسمَّى "جرف اليهود" ويسكنها العبريون منذ قديم الزمان "[٩٩] ، وربما يقصد الصابئة لأنَّ اليهود في ذلك الوقت لا وجود لهم ، لاسيما بعد ان تم تهجيرهم من قبَل المشعشعيين ابان سيطرتهم عل الجزائر ، وذلك ما أكدته رسالة السيد محمد المشعشعي للعالم البغدادي إذ قال: " طردت جميع اليهود الذين كانوا في الجزائر الذين يقومون بسك النقود لنجاستهم "[١٠٠]، . أمّا أبناء الطائفة الصابئية كانت الجزائر تضم بين سكانها عدد كبير منهم ، إذْ كانوا يستوطنون في المدَّيْنَة ونهر صالح وهم من قبيلة ((الجحيلية)) الصابئية[١٠١] ، وكان وجودهم قرب الأهوار وعلى سواحل الأنهار لدواعٍ دينية ؛ لأن الماء شيء مهم في ديانتهم للاغتسال والوضوء(التعميد)[١٠٢]ويبدو أنَّ أعدادهم الحالية لا تتناسب مع قِدَم المدة التي استقروا بها في المنطقة وربما يرجع ذلك الى ما ذكرته بعض المصادر عن تعرض تلك الطائفة للإضطهاد في مراحل معينة[١٠٣]ما دفع بعضهم إلى الهجرة، وتحوّل آخرون الى الإسلام وهذا ما أشارت اليه بعض المصادر من وجود عشائر ذات إصول صابئية[١٠٤] ، وكذلك يذكر الرحالة قرية المنصورية بقوله : " وقد اجتزناها عند الساعة التاسعة مساءً ، وكان النهار فيها محرقاً على الرغم من أنَّ الرياح كانت شمالية شرقية ، وكانت الضفة مُغطَّاة بالذرة الصفراء التي يضطر السكان لحراستها من اجل المحافظة عليها من الطيور والحيوانات الوحشية ، ويجلسون فوق اكوام قصب اكثر ارتفاعاً للذرة البيضاء ، ويطلقون صيحات عالية ويضربون عليها بقطعة من الخشب لابعاد الطيور الضارة ، وهؤلاء الحراس كأنهم اولاد الشمس ، فهم يتعرضون لها من الصباح إلى المساء دون أية وقاية " وبحدود تلك القرية يذكر سيستيني طبيعة نهر الفرات والأسماك التي تكثر فية بقوله : " وهنا يصبح نهر الفرات متعرجاً ، إلّا أنَّه لا يزال على هيبته ومليئاً بالأسماك ، إذْ تندفع اسماك "القطان" بقوة خارج الماء بضجة كبيرة " ويذكر صنفاً آخر

من الاسماك اسمه "الزنجور" ، وفي سياق حديثة عن المنطقة يذكر: " يشكّل نهر "أبو الكلبين" جزرة مغطاة بحقول الذرة الصفراء والباقلاء ، وفي الضفة الأخرى من النهر يشاهد أحد الأضرحة " ، ويواصل حديثه عن قرى الجزائر بقوله: " وإلى جوار قرية "الفيلية"[١٠٥] ، وهي قرية محاطة بالنخيل ، توجد قناة للاتصال بين دجلة والفرات ، وجميع هذه القرى الثلاث أو الأربع كانت ايالات او ممالك خاضعة للأتراك ، ويحكمها شيخ عربي ، وأهلها منشغلون بصناعة الحصير أو غزل الأقمشة الصوفية السميكة لصناعة عباءاتهم "[١٠٦] .

وحظيت المرأة بأهتمام سيستيني وقد تحدث عن صورتها المظهرية وتفاصيل أزيائها ، وقد أبدى استياءه من حالها بتلك المنطقة ، والواقع أنَّ الرحالة مخطىء في وصفه ؛ لما فيه من تحامل على نساء الجزائر ، وهو خلاف ماذكره رحالة[١٠٧] آخرون بالشأن نفسه ، وفي الأحوال كافة يبقى وصفهم شعوراً شخصيّاً لما يشاهدونه ، وقد كانت صورة المرأة في كتاباته أنَّها : " ترتدي نساؤهم جلباباً أزرق فوقه عباءة وفوطة تتدلى خلف ظهورهن لتغطي الرأس وجزءاً من الوجه ، وعندما لا تتيسر لديهن الفوطة فأنَّ شعرهن المنفوش والأشعث يشبه مخلوق "الميدوزا"[١٠٨] ، ويعلقن في مناخيرهن او شفاهن خزامة كبيرة ، وهي عادة قديمة جداً كما يبدو ، ... وبشرتهن سوداء أو زيتونية اللون "سمراء" ، وأفواهن واسعة وشفاههن غليظة وعيونهن حادة واسنانهن متعفنة ، وقامتهن قصيرة وغليظة ، ونساؤهم شرسات وخبيثات ، وكل ما يملكن من حلي يشمل اساور اليد وخلاخيل الارجل والكثير من رسوم الوشم الغريبة التي تركت آثارها على بشرتهن "[١٠٩]

وفي ٩ شباط ١٧٨٤ وصف الرحالة الفرنسي جوزيف دي بوشامب (Joseph de Beauchamp) المنطقة الممتدة بعد تجاوزه سوق الشيوخ ماراً بجزائر البصرة وصولاً للقرنة ، غير أنَّه لم يتطرق إلى مايمكن عده أمراً مهماً ، وقد ركز على الجانب المناخي والجغرافي ، ومما جاء في رحلته : " واجهتنا حوالي الساعة الثامنة صباحاً رياح طيبة لم تعق إبحارنا وواصلنا متابعتنا باتجاه الشرق حتى الساعة التاسعة مساء وكنا نتجة في بعض الأوقات نحو الشمال الشرقي الذي لم نتركه حتى القرنة "[١١٠] .

أمّا الرحالة الفرنسي كونت فيريير سوفبوف (Ferrieres Sauveboeuf) الذي زار البصرة عام ١٧٨٥ قادماً من بابل عن طريق نهر الفرات ، فقد حظيت المرأة بأهتمامة وكانت

صورتها في كتاباته انها : " وقد شاهدتُ بعض بناتهم الصغيرات يعبرن نهر الفرات سباحة ، ويسحبن معهن حزم الحطب لخبز الخبز الذي قامت أمهاتهن بعجنه ... وحين يقتربن من الشاطىء ترى فيهن البراءة ، وكانت وجوههن تتورد خجلاً عندما يشاهدن الغرباء يجففن ملابسهن على ضفة النهر " وأضاف بأنهن " أطهر نساء في آسيا كلها "[١١١] .

أمَّا اخر الرحالة الذين زاروا جزائر البصرة في القرن الثامن عشر فهو الرحالة البريطاني جاكسون (Jakisun) الذي زار المنطقة في ٢٦ حزيران ١٧٩٧ وهو في طريقه إلى بغداد ، وقد اكتسبت رحلته أهمية من خلال تدوينه معلومات مهمة عن الجزائر في تلك المدة ، ومما جاء فيها : " غادرنا القرنة في الساعة الثالثة وصعدنا نهر الفرات الذي يسميه العرب شط الفرات وقد اجتزنا الضفاف الغربية من النهر ، ولكن جابهتنا ريح خفيفة من الشرق فاضطررنا إلى سحب الزوارق والتجديف حيث لم يزد معدل سيرنا عن ثلاثة أميال في الساعة الواحدة ، والريف في هذه المناطق غير مأهول بالسكان إلّا قليلا وتغطيه المستنقعات وأعواد القصب والصفصاف ، أطلقت النار على طير الكركي بين الصفصاف ولم يلبث أن اندفع من المنطقة قطيع كبير من الخنازير كان حجم البعض منها غير اعتيادي ، والوقع إنَّني لم أكن لأصدّق عند الوهلة الأولى أنَّ هذه الحيوانات من الخنازير فقد كانت الوانها حمراء غامقة ، ولما كان العرب لايأكلون لحم الخنزير فأنَّ هذه الجثث تظل ملقاة في العراء ... شاهدنا عند الغروب عدداً من بنات آوى يتلصصن على ضفة النهر ، وإذْ ذاك أطلقت النار على واحدة منها فقتلته في الحال"[١١٢] ، وأشار بعد ذلك للضريح الذي ذكره الرحالة(سيستيني) والرحالة (بارسونز) ، فضلاً عن تسجيل مشاهداته اثناء الليل ، حيث ذكر: " واصلنا الجر والتجديف حتى الساعة الثامنة مساءً عندما اسرعنا بقواربنا في الضفة الغربية من النهر على مقربة من ضريح كبير ، حيث مكثنا هناك طيلة الليل ولكننا لم ننعم بالراحة إلّا قليلاً بسبب مضايقة البق لنا وعواء بنات آوى والذئاب وغيرها من الحيوانات الضارية في المناطق المجاورة لنا الأمر الذي جعل موقعنا محفوفاً بالخطر " ، بعد ذلك تطرق جاكسون الى ماتملكه تلك المنطقة من ثروات تمثل مصدر عيشها ، ومما جاء ذكره : " ما إن انبلج صباح يوم الثلاثاء ٢٧ حزيران حتى استأنفنا رحلتنا ساحبين زوارقنا على الضفة اليمنى من النهر ، الريف هنا ذو منظر بهيج ؛ وذلك لوفرة بساتين

النخيل وحقول القمح فيه ، وفي الساعة الثامنة مررنا بخيم بعض العرب وقد احاطت بها أعداد كبيرة من الماشية، من أبقار ونعاج ومعز"[١١٣] .

الخاتمة

لقد اتضح من خلال الدراسة أنَّ الرحالة كان مرورهم بجزائر البصرة تحصيل حاصل نتيجة موقعها على نهر الفرات الذي يشكل طريقاً مهما آنذاك بين الخليج العربي والبحر المتوسط ؛ لذا جاءت كتاباتهم مقتضبة إذْ دوّنوا ما وقع تحت أعينهم فقط ، ولكن بالرغم من ذلك فأنَّها لا تخلو من ملاحظات جديرة بالاهتمام ؛ إذْ إنَّ معظمهم أشار إلى الوضع السياسي غير المستقر في منطقة الجزائر وصراعها المستمر مع الدولة العثمانية ، وركّز آخرون على ماتحويه المنطقة من ثروات طبيعية وحيوانية وزراعية ، فيما أشار آخرون الى الشؤون التي تخص أبناء المنطقة وعاداتهم وأزيائهم وأماكن تواجدهم واسماء القرى التي مروا بها ، لكنهم بالغوا في وصف مخاطر الطريق الذي يمر بهم بالرغم من أنَّهم لم يسجلوا لنا حالة واحدة أصابتهم في أثناء مرورهم بالجزائر ، مما يؤكد تأثرهم بالمزاعم العثمانية تجاه سكان المنطقة نتيجة الصراع الذي امتد طويلاً معهم ، وإنَّ الدراسة اثبتت مما يؤسف له أنَّ اغلب الرحالة كانوا متحاملين على سكان الجزائر ، واطلاق الاحكام المسبقة دون دليل وتلك الاحكام تعد انسياقاً مع تيار التعبئة المعادي الذي رسخه العثمانيون تجاه سكان المنطقة مستمداً عناصره من احداث ومرويات وحكايات بعيدة كل البعد عن سلوك العشائر العربية الأصيلة التي تسكن المنطقة منذ قرون .

الهوامش

[١] فلاح حسن عبد الحسين ، بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما أوردها الرحالة الاوربيون في العصر الحديث ، مجلة المورد ، المجلد الثامن عشر ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٥ .

[٢] سيار الجميل ، رحلة جوستن بيركنس عبر شمال العراق الأرض الكلاسيكية عام ١٨٤٩ م ، المورد ، المصدر السابق ، ص١٦٩ .

[٣] الرحالة لياندو الكرملي ، معرفة الشرق في العصر العثماني ، ترجمة الاب بطرس حداد ، المركز الاكاديمي للابحاث ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص٦ .

[٤] حسين محمد فهيم ، ادب الرحلات ، دراسة تحليلية من منظور انثوجرافي، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٣٨ ، ١٩٨٩ ، ص١٩ .

[٥] فلاح حسن عبد الحسين ، ، المصدر السابق ، ص٥-٦ .

[٦] علي عفيفي علي غازي ، بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة ، دار الرافدين ، بيروت ، ٢٠١٦ ، ص٤٠-٤١ .

[٧] فلاح حسن عبد الحسين ، مدينة البصرة كما وصفها الرحالة الاوربيون في العصر الحديث ، موسوعة البصرة الحضارية ، المسوعة التاريخية ، جامعة البصرة ، ١٩٨٩ ، ص٣١٤ .

[٨] جزائر البصرة : وهي المنطقة التي تقع على نهر الفرات الذي يغمر مياهه المنطقة لدرجة إنها تغطي مساحات واسعة من الأراضي وتكونت منطقة واسعة من المستنقعات والأهوار مكونة جزراً عديدة حتى عرفت بـــ (الجزائر) ، وتنحصر المنطقة مابين القرنة والجبايش، وهي تشير بوضوح إلى قضاء المْدَيْنَة الحالية وتوابعها كونها حاضرة المنطقة ومركزا لأمرائها آنذاك ، وهذا ما أكدته الوثائق العثمانية إذ اشارت إلى أنَّ ((المْدَيْنَة أعظم قلاع الجزائر وأحصنها)) ، وذكر فتح الله الكعبي– وهو ممَّن عاصر أحداث المنطقة – بأن الجزائر((علم لمواضع كثيرة أولها قرية بني منصور، وبني حميد، ونهر عنتر [مركز إمارة ربيعه]، ونهر صالح [مركز إمارة آل عليان]، وديار بني أسد، وديار بني محمد، والفتحية، والقلاع، ونهر السبع، والباطنة، والمنصورية، والإسكندرية، وينتهي شمالاً إلى كوت معمر))، إن أغلب المواضع التي أوردها الكعبي تقع في الحدود الإدارية لقضاء المدَّيْنَة الحالي ، وأكد ذلك كُتْاب متأخرون ومنهم ظريف الأعظمي ، فيما ذهب علي الشرقي في تحديده الرقعة الجغرافية للجزائر إلى أبعد من ذلك إذ قال: ((أما الجزائر فقراها كثيرة ولم تزل تسمَّى بأسماء الأنهار التي تمر بها أو القبائل التي تقطنها وكانت عاصمة هذه الجزائر واسط ثم البصرة ثم الحويزة ثم المْدَيْنَة وهي مدينة بني منصور وأشهر قراها القديمة الصباغية ونهر صالح فقد أخْرجَتْ هاتان القريتان كثيرا من أهل العلم والأدب وفي النجف اليوم أسر كبيرة ترجع إليهما، وكذلك قرية بني حميد، ونهر عنتر، وهي اكبر مواضعها، وديار بني أسد، والفتحية، وديار بني محمد، والقلاع، ونهر السبع، والباطنة، والمنصورية، والإسكندرية، والبلتان، وكوت معمر))، للمزيد ينظر : حكم موجَّه من الديوان الهمايوني في اسطنبول الى بكلر بكي بغداد في ٢٩/جمادي الاولى/٩٥٩هـ الموافق ٢٣/آيار/ ١٥٥٢م، فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية أواسط القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، المجلد الثاني،إعداد وترجمة ودراسة فاضل بيات، استنبول، ٢٠١١، ص١٠٩-١١١ ؛ فتح الله الكعبي، زاد المسافر ولهنة المقيم الحاضر،ط٢، الدار العربية للموسوعات،

بيروت، ٢٠٠٢، ص٣٧-٣٨ ؛ علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، بغداد، ١٩٢٧، ص١٣٠ ؛ علي الشرقي، العرب والعراق، ط١، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٣،ص١٥٩.

٩ - فاغن يوغن ، العودة إلى الأهوار ، ترجمة فريدة ضياء شكارة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٥٧ .

١٠ - سر وليس بدج ، رحلات الى العراق ، ترجمة فؤاد جميل ، ج١ ، ط١ ، مطابع دار الزمان ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص١٨ .

١١ - فلاح حسن عبد الحسين ، مدينة البصرة كما وصفها الرحالة الاوربيون في العصر الحديث ، المصدر السابق ، ص٣١٤ .

١٢ - علي عفيفي علي غازي ، المصدر السابق ، ص٤٠ .

١٣ - المْدَيْنَة : وهي إحدى أقضية محافظة البصرة، تقع في الجزء الشمالي الغربي من مركز المحافظة، بين دائرتي عرض (١١. ٥٢. ٤٢. ٣٠. ٣٣. ١. ١٦. ٣١) شمالا، وخط طول(١٦. ٣٢. ٥. ٤٧. ٣٩. ٤٣. ٢٤. ٤٧) شرقا، يحدها من الشمال والشمال الغربي محافظة ميسان ومن الغرب محافظة ذي قار ومن الجنوب والجنوب الشرقي قضاء الزبير وناحية الدير وشرقا قضاء القرنة ويشغل القضاء حيزا مكانيا مساحته الكلية (٩٨٩)كم٢ وتشكل هذه المساحة نسبة مقدارها ٥.١٩% من مساحة محافظة البصرة، فيما يشير التقرير السري لدائرة الاستخبارات البريطانية الذي نقله الى العربية الاستاذ عبد الجليل الطاهر تحت عنوان (العشائر والسياسة) وكتابة العشائر العراقية ، إلى أنَّ السير البريطاني هنري دوبس نصب الشيخ حميد المير جعفر مديراً لناحية المْدَيْنَة بتاريخ ١٩١٦/١٢/٤ الذي عمل ضمن الادارة البريطانية حتى تشرين الاول ١٩٢٠ ، وبعد ذلك اصبح الشيخ حسك المبارك مديراً لناحية المْدَيْنَة بتاريخ ٢٣-٢-١٩٢١ وفق ما جاء في جريدة الحكومة العراقية لسنة ١٩٢١ ، ويذكر الدليل الاداري للجمهورية العراقية للعام ١٩٨٩-١٩٩٠ ان المدينة استحدثت الى ناحية عام ١٩٢٠، ثم اصبحت قضاءاً بموجب المرسوم الجمهوري المرقم (٧١٧) في ١٩٧٨م، ويتكون القضاء حالياً من ثلاث وحدات إدارية تتضمن مركز القضاء ، وناحية الشهيد عز الدين سليم (تسمى سابقا، الهويرثم العز، وسميت بإسمها الحالي إستنادا لموافقة مجلس محافظة البصرة المرقم (٥٢) المنعقد بتاريخ ٢٠٠٥/١٠/٢٦، ومصادقة وزارة البلديات والأشغال بالأمر المرقم ٢١٦م/١ بتاريخ ٢٠٠٦/١/١٧) وناحية الإمام الصادق (تسمى طلحة سابقا، سميت باسمها الحالي استنادا لموافقة مجلس محافظة البصرة المرقم (٦٩) المنعقد بتاريخ ٢٠٠٦/٤/١٢، ومصادقة وزارة البلديات والأشغال بالأمر المرقم ١٦٦٩م/٦ بتاريخ ٢٠٠٦/٤/١٧)، ويوجد في القضاء بعض التلال الأثرية أهمها تل أبو الصلابيخ الذي يرجع تاريخه إلى العصر الكيشي والآشوري (١٦٠٠-٩١١)ق.م والعصر البابلي الحديث (٦٢٥-٥٣٩)ق.م والعصر الاسلامي. للمزيد ينظر: تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية، العشائر والسياسة، ترجمة عبد الجليل الطاهر، النجف، (د.ت)، ص٩ (الهامش)؛ عبد الجليل الطاهر ، العشائر العراقية ، ج١ ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص٨٧ ؛ جريدة الحكومة العراقية ، العدد ٢٠ ، بغداد ، ٢١ اكتوبر ١٩٢١ ، ص٤-١٠ ؛ لجنة إعلام (مديرية إرشاد المنطقة الجنوبية)، البصرة في مهرجان الشعر التاسع، البصرة، ١٩٦٩، ص٣١-٣٢؛الجمهورية العراقية وزارة الحكم المحلي، الدليل الاداري للجمهورية العراقية ١٩٨٩-١٩٩٠، ج٢، ط١، ١٩٩٠، ص٣٦٢ ؛ بشرى رمضان ياسين، تحليل جغرافي للإنتاج الزراعي في قضاء المدينة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٢ ؛ محمد اطخيخ ماهود المالكي، قضاء المدينة دراسة في الجغرافية الإقليمية، باستخدام نظم المعلومات الجغرافية GIS، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة،٢٠٠٩، ص٤٠-٤٢؛ عبد الرزاق الحسني، رحلة في العراق او خاطرات الحسني، ط١، بيروت، ٢٠١٣، ص١٢٥ .

١٤ - نظمي زادة مرتضى أفندي، كلشن خلقاً، ترجمة موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١، ص٢٠٢-٢٠٣ ؛ عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (١٥١٦ – ١٩٢٢)، بيروت، ص٩٣ ؛ طارق الحمداني، مدن العراق، المصدر السابق، ص٦٧ .

١٥ - ال عليان : وهم من قبيلة طي أقطعهم الخليفة الناصر منطقة الجزائر مناصفة مع ربيعة ؛ لمساعدتهم له في حربه ضد أولاد شمله، فاستقر ابن عليان الطائي في نهر صالح ، واخذوا على عاتقهم مقاومة العثمانيين إبّان احتلالهم البصرة . للمزيد ينظر : حسام طعمة ناصر و مشتاق عيدان اعبيد ، المدينة (جزائر البصرة) في العهد

العثماني ١٥٤٦ – ١٧١٨ ، دراسة في الاحوال السياسية والاجتماعية ، ط١ ، العتبة العباسية المقدسة ، قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية ، مركز تراث البصرة ، العراق ، ٢٠١٥ .

([١٦]) ابن الغملاس، المصدر السابق، ص[٥٧] .

([١٧]) فاضل بيات، المصدر السابق، ص[١٠٧].

[١٨]- حكم موجه من الديوان الهمايوني في اسطنبول الى بكلر بكي بغداد في ٢٩/جمادي الاولى/٩٥٩هـ الموافق ٢٣/آيار/ ١٥٥٢م ، فاضل بيات، المصدر السابق، ص[١٠٩-١١٣] .

[١٩]-المصدر نفسه، ص[١١٣] .

[٢٠]- حكم موجه من الديوان الهمايوني في استنبول الى بكلربكي البصرة قباذ باشا، في ٧/شعبان/٩٥٩هـ الموافق ٢٩/تموز/ ١٥٥٢م، فاضل بيات، المصدر السابق، ص[١١٨-١١٩] .

[٢١]- عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج[٤]، ط١، بيروت، ٢٠٠٤ ، ص[٩٢] ؛

[٢٢] - العراق في رحلة سيدي علي ريس ١٥٥٣ – ١٥٥٤ ، ضمن كتاب : رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص[١٥] .

[٢٣] - رحلة القائد العثماني سيدي علي التركي الى الجزيرة العربية سنة ١٥٥٣ ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص[١٤] .

[٢٤] - رحلة سيدي علي ريس قبطان البحر العثماني في الخليج العربي الى الهند واسيا الوسطى ١٥٥٣ – ١٥٥٤ م ، ضمن كتاب : رحلات عثمانية في الجزيرة العربية والهند واسيا الوسطى مابين القرنين السادس عشر والعشرين ، ترجمة محمد حرب ود وتسنيم محمد حرب ، ط١ ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، الامارات العربية المتحدة ، ٢٠١٣ ، ص[٢٧] .

[٢٥]- جعفر الخياط ، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج١،ط١،بغداد ،١٩٧١، ص[٣٦-٣٧] .

[٢٦]- نقلا عن: محمد هليل الجابري، إمارة المشعشعين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٣ ، ص[١١٤-١١٥].

[٢٧] - رحلة فيدريجي الى العراق (القرن السادس عشر) ، ترجمة وتعليق الأب بطرس حداد ، مجلة المورد ، المصدر السابق ، ص[١٦٦] ؛ رحلة سيزار فيدريجي بين حلب والبصرة ١٥٦٣ – ١٥٨١ ، ضمن كتاب : رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر ، المصدر السابق ، ص[٧٣ – ٧٤] .

[٢٨] - رحلة بالبي الى العراق ، ترجمة وتعليق الاب بطرس حداد ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص[٩٢] .

[٢٩] - للمزيد عن تلك الحملة ينظر : حسام طعمة ناصر ومشتاق عيدان اعبيد ، المصدر السابق ، ص[٧٣-٩٠]

[٣٠]- نقلا عن: فلاح حسن عبد الحسين، المصدر السابق، ص[٣١٥].

[٣١]- بيره جك:مدينة بأرض الجزيرة على الضفة اليسرى لنهر الفرات ومعناها ((القلعة الصغيرة)) وكانت تابعة لولاية حلب حسب التقسيم الإداري العثماني، وهي ذات أهمية تجارية كونها ملتقى القوافل الآتية من شمالي الشام إلى الجزيرة ومنها إلى شمال العراق. علي شاكرعلي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨– ١٧٥٠ميلادية ١٠٤٨–١١٦٤هـ، دراسة في أحواله السياسية، ط١، الموصل، ١٩٨٥ ص[٥٨].

[٣٢]- نقلا عن: طارق نافع الحمداني، مدن العراق وقبائله العربية في العصر الحديث، بيروت، ٢٠١٠ ، ص[٦٩] .

[٣٣] - العراق وبادية الشام في رحلة جون نيوبري سنة ١٥٨٣ ، ضمن كتاب : رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر ، المصدر السابق ، ص[١٠٩] ؛ العراق في رحلة جون نيوبري سنة ١٥٨٣ ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد (٣٢) ، السنة الحادية عشر ، دار الحمة ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص[٥٩] .

[٣٤] - رحلة رالف فتش من حلب حتى البصرة ١٥٨٣ – ١٥٨٩ ، ضمن كتاب : رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر ، المصدر السابق ، ص[١٦٢] .

[٣٥] - العراق وبادية الشام في رحلة جون نيوبري سنة ١٥٨٣ ، المصدر السابق ، ص[٩٤] .

[٣٦]- حكم موجه من الديوان الهمايوني في اسطنبول الى بكلر بكي بغداد في ٢٩/جمادي الاولى/٩٥٩هـ الموافق ٢٣/آيار/ ١٥٥٢م، فاضل بيات، المصدر السابق، ص[١٠٩-١١١] .

[٣٧]- طارق نافع الحمداني، مدن العراق، المصدر السابق، ص[٧٠-٧١] .

[٣٨]- طارق نافع الحمداني، موقف القوى المحلية من الولاة العثمانيين في البصرة خلال القرن السادس عشر، مجلة دراسات للأجيال، العدد الثالث، السنة الخامسة، ١٩٨٢، ص٢١٣-٢١٤.

[٣٩]- علي ظريف الأعظمي ، المصدر السابق ، ص١٢٩.

[٤٠]- فتح الله الكعبي، المصدر السابق، ص٢٨ ؛ عباس العزاوي، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٣.

[٤١]- حمود حمادي الساعدي ، بحوث عن العراق وعشائره، دار الاندلس، النجف الاشرف ،١٩٩٠ ، ص٢٢١.

[٤٢]- نقلاً عن: ستيفن هيمسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٥، بيروت، ٢٠٠٤ ، ص١٣٣.

[٤٣] - رحلة بيدرو تيخيرا من البصرة الى حلب عبر الطريق البري (١٦٠٤ – ١٦٠٥) ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٣٠ – ٣١.

[٤٤]- نقلا عن: السيد علي خان الموسوي المشعشعي ، الرحلة المكية ، نسخة خطية عربية في مكتبة سبهسالار (مطهري حالياً) ، رقم ١٥١٣ ، ص٦٢ ؛ عبد علي بن رحمة الله الحويزي البحراني،تأريخ الدولة الافراسيابية، دراسة تحقيق سعدون جاسم محمد الجزائري، ط١، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف ، ٢٠١٣، ص٣١١.

[٤٥] - رحلة ديللافاليه الى العراق (مطلع القرن السابع عشر) ، ترجمة وتعليق الاب بطرس حداد ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص١٤٣.

[٤٦]- حكم رقم (٨٣٢) موجه من الديوان الهمايوني في اسطنبول الى بكلربكي البصرة، المؤرخ في ٢٣ جمادي الاخرة ٩٧٣هـ / ١٥ كانون الثاني ١٥٦٥م ، فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية أواخر عهد السلطان سليمان القانوني، المجلد الثالث ، إعداد وترجمة ودراسة فاضل بيات ، تقديم خالدارن، استنبول، ٢٠١٤ ، ص٢٦٧-٢٦٨.

[٤٧]- حكم رقم (٨٣٠) موجه من الديوان الهمايوني في اسطنبول الى بكلربكي شهرزور، المؤرخ في ٢٣ جمادي الاخرة ٩٧٣هـ / ١٥ كانون الثاني ١٥٦٥م ، فاضل بيات، المصدر السابق، ص٢٦٩

[٤٨] - رحلة لابولي لوغوز من الهند الى الاناضول عبر العراق في سنة ١٦٤٩ ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، مراجعة انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص٧٦.

[٤٩]- محمد هليل الجابري، موسوعة البصرة الحضارية (الموسوعة التاريخية)، جامعة البصرة ، المركز الثقافي ، البصرة ، ١٩٨٩ ، ص١٩٨.

[٥٠]- حسين علي المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني، ٩٥٣هـ – ١٠٧٩ / ١٥٤٦م – ١٦٦٨م، دراسة في التاريخ الاجتماعي والعمراني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٨، ص٥٢-٥٤.

[٥١]- عبد الحسين جواد السريح، الإقليم الوظيفي في القرنة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٧٧، ص٢١٤.

[٥٢] - رحلة لابولي لوغوز من الهند الى الاناضول عبر العراق في سنة ١٦٤٩ ، المصدر السابق ، ص٩٠.

[٥٣] - رحلة الفرنسي تافرنييه الى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٦٨.

[٥٤] - الفتحية : وهي إحدى المقاطعات التابعة إلى قضاء المُدَيْنَة مسجلة لدى وزارة الموارد المائية الهيئة العامة للمساحة (بغداد) لعام٢٠٠٧، (مقاطعه رقم/٢٩)، وتقع على الجهة المقابلة لمركز القضاء على الضفة الشمالية لنهر الفرات ينظر:محمد طخيخ ماهود، المصدر السابق، ص٤٥.

[٥٥] - رحلة سبستياني الى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة الاب بطرس حداد ، بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص٤٥-٤٦.

[٥٦] - نقلاً عن: حسين علي مصطفى، المصدر السابق، ص٤٥ ؛ صالح اوزبران ، الأتراك والعثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي (١٥٣٤ – ١٨٨١) ، ترجمة وتعليق عبد الجبار ناجي ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٣٦ ، هامش ٥٣.

[٥٧] - رحلات جان دي تيفينو في الاناضول والعراق والخليج العربي (١٦٦٤ – ١٦٦٥) ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق مخمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص١٥٣.

[٥٨] -علي ظريف الأعظمي، المصدر السابق، ص١٣٠.

[٥٩] - الكودة.. وهي ضريبة تفرض على أصحاب الأغنام والأبقار والجمال. باقر أمين الورد، من أحداث بغداد في نهاية العهد العثماني، جريدة المدى، العدد (٢٥٧٣) ،بغداد،الاثنين ٢٧ آب ٢٠١٢.

[٦٠]- ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص١٣٩.

[٦١]- فتح الله الكعبي، المصدر السابق، ص٣٠-٣١ ؛ ابن الغملاس، ولاة البصرة ومتسلموها ، دار منشورات البصري ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص٥٨.

[٦٢]- ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص١٣٩.

[٦٣]- المصدر نفسه ، ص١٤٦.

[٦٤]- العرجا: وهي من المدن المندرسة الآن ترى خرائبها اليوم على الضفة اليمنى لنهر الفرات في نقطة تقع على مسافة ميل واحد من مقدم مدينة الناصرية وهي من مدن العراق القديمة، ورد ذكرها في كثير من أقوال المؤرخين والسياح الأجانب. للمزيد ينظر: يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، القسم الثاني، تقديم رفائيل بطي و مير بصري، بغداد، ١٩٥٥، ص٣٧٤-٣٨٠.

[٦٥]- عباس العزاوي، المصدر السابق، ج٥، ص٩٣-١٠٠.

[٦٦]- فتح الله الكعبي، المصدر السابق، ص٤٨-٥٠.

[٦٧]- المصدر نفسه، ص٦٢.

[٦٨] - رحلات الاب بارثيملي كاريه في العراق والخليج العربي وبادية الشام (١٦٦٩ – ١٦٧٤) ، ترجمة وتحقيق انيس عبد الخالق محمود وخالد عبد اللطيف حسين ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص٢٦٢-٢٦٣.

[٦٩] - المصدر نفسه ، ص٢٦٣.

[٧٠] - نهر صالح : تسمى حاليا بالاسم ذاته، وهي من القرى الكبيرة التابعة إلى قضاء المدينة، مسجلة لدى وزارة الموارد المائية، الهيأة العامة للمساحة، (بغداد) لعام ٢٠٠٧، (مقاطعة رقم /١٩)، وهي عبارة عن تل مرتفع يقع على الجانب الغربي لنهر الفرات إلى الغرب من مركز القضاء . ينظر : محمد اطخيخ ماهود المالكي، المصدر السابق، ص٤٤-٤٥.

[٧١] - الاب بارثيملي كاريه في العراق والخليج العربي وبادية الشام (١٦٦٩ – ١٦٧٤) ، المصدر السابق ، ص٢٦٣-٢٦٤.

[٧٢]-عبد الرزاق الحسني، الصابئون في حاضرهم وماضيهم، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٥، ص١١٦-١١٧.

[٧٣] - رشيد الخيون ، الأديان والمذاهب في العراق ، ط١ ، دار الجمل ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص١٩.

[٧٤]- فلادمير لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، دار التقدم موسكو،١٩٧١، ص٤١.

[٧٥]- تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق المعاصر، ترجمة زينه جابر إدريس، ط١، بيروت، ٢٠٠٦، ص٤٥.

[٧٦]- محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٤ ، ص٣٠٨.

[٧٧] - بيتر برنيث ، بلاد العرب القاصية : رحلات المستشرقين الى بلاد العرب ، ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان سابو ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص٨١.

[٧٨] - الرحالة ليااندرو الكرملي ، المصدر السابق ، ص١١٦.

[٧٩] - العراق والخليج العربي في رحلة جان اوتر (١٧٣٦ – ١٧٤٣) ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، مراجعة انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص١٥٥-١٥٦.

[٨٠] - العراق والخليج العربي في رحلة جان اوتر (١٧٣٦ – ١٧٤٣) ، المصدر السابق ، ص٢٠٦-٢٠٧.

[٨١] - المصدر نفسه ، ص٢٠٨.

[٨٢] - المصدر نفسه ، ص٢٠٩.

[٨٣] - رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، ترجمة سعاد هادي العمري ومصطفى جواد ومحمود حسين الامين ، ط١ ، دار الوراق ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص٩٩.

[٨٤] - المصدر نفسه ، ص١٠٦-١٠٧.

[٨٥] - المصدر نفسه ،ص١٠٩.

٨٦ - المصدر نفسه ، ص١٠١.

[٨٧]- عبد علي بن ناصر الحويزي، السيرة المرضية في شرح الفرضية ، تحقيق محمد الخال ، بأسم تاريخ الامارة الافراسيابية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص[٣٥] .

[٨٨]- حسين علي المصطفى، المصدر السابق، ص[١٠٣-١٠٤] .

[٨٩]- ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص[١٣] .

[٩٠]- فتح الله الكعبي، المصدر السابق، ص[٣٨] .

٩١ - رحلة ابراهام بارسونز من حلب الى الخليج العربي (١٧٧٤ – ١٧٧٥) ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص[١١٥] .

[٩٢] - المصدر نفسه ، ص[١١٤-١١٥] .

[٩٣]- نعمة الله الجزائري ، الأنوار النعمانية، ج[٤]، ط[١]، بيروت، ٢٠٠٨، ص[٢١٠-٢١٩] .

[٩٤] - تشير المصادر إلى أنَّ عيسى بن زيد بن علي بن الحسين قد اختفى في جنوب العراق بعد هزيمة ابراهيم بن عبد الله الذي ثار على المنصور العباسي ، وقد كان قائداً في هذه الحركة ، وبقي متخفياً حتى خلافة المهدي بن المنصور ، وكان عيسى قد تزوج في مختفاه وكتم اسمه الاصلي ونسبه عن زوجته ، وولدَ له ولد سمّاه احمد [صاحب الضريح الموجود في ناحية الامام الصادق التابعة لقضاء المدينة] وقد اخبره ابوه بأصله ، فلما مات عيسى التحق احمد بأسرته في بغداد واستأنف سيرة والده فسجنه هارون الرشيد ثم افلت من السجن واختفى في ورزنين بايران ثم انتقل الى البصرة وربما لجزائرها التي تكتنفها المسطحات المائية اذ شكلت ملجأ للثائرين على مر التاريخ بدليل وجود قبره في هذا المكان ، وفي مختفاه ولِدَ له ولدان هما محمد وعلي ، وينتسب صاحب الزنج الى محمد الذي تقول مصادر النسب ان له ولداً اسمه علي بن محمد بن احمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، الذي ظهر في فرات البصرة وقاد ثورة الزنج التي دامت نحو اربع عشرة سنة (٨٦٩-٨٨٣ م) ، للمزيد ينظر : هادي العلوي ، شخصيات غير قلقة في الاسلام ، ط٤ ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص[٢٤٥-٢٥٨] ؛ فيصل السامر ، ثورة الزنج ، ط٢ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص[٥١-٦٤] ؛ حسون البطاط ، حياة السيد احمد بن عيسى بن زيد بن الامام زين العابدين (عليه السلام) ، ط١ ، دار الفيحاء للطباعة والنشر ، البصرة ، ٢٠١٤ .

[٩٥] - انها إحدى قرى الجزائر ولم نستطع ضبط مكانها .

[٩٦] - إنّه حاكم القرنة حاتم اغا الذي رافقهم تلك المسافة بعد ان سلموه رسالة من السيد ويليام لاتوش المقيم البريطاني في البصرة . للمزيد ينظر : رحلة صموئيل ايفرز من البصرة الى البحر المتوسط سنة (١٧٧٩) ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص[٢٣-٢٥] .

[٩٧] - المصدر نفسه ، ص[٢٥] .

[٩٨] - بابل وبغداد وشط العرب للجغرافي الفرنسي دانفيل سنة ١٧٧٩ ، ضمن كتاب : رحالة اوربيون في العراق بين القرنيين السادس عشر والثامن عشر ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، مراجعة انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص[٢٠٦] .

[٩٩] - العراق في رحلة الأب دومينيكو سيستيني في سنة ١٧٨١ ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، مراجعة وتحقيق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص[١٦٤-١٦٥] .

[١٠٠] - جاسم حسن شبر، المشعشعين وتراجم اعلامهم ، النجف الاشرف ، ١٩٦٥ ، ص[٣٣] .

[١٠١]- عبد الرزاق الحسني، الصابئون في حاضرهم وماضيهم ، ص[١١٦-١١٧] .

[١٠٢]- شاكر مصطفى سليم، الجبايش، ط٢، بغداد، ١٩٧٠ ، ص[١٦٨] .

[١٠٣]- حسين علي مصطفى، المصدر السابق، ص[١٦٤] .

[١٠٤]- ولفرد ثسيكر، المعدان أو سكان الأهوار ، ترجمة باقر الدجيلي ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٦، ص[١٦] .

[١٠٥] - لاتوجد قرية بهذا الاسم وربّما يُقصد بها "الفتحية" .

[١٠٦] - العراق في رحلة الأب دومينيكو سيستيني في سنة ١٧٨١ ، المصدر السابق ، ص[١٦٤-١٦٥] .

[١٠٧] - إنَّ الرحالة فريزر سنة (١٨٣٤) تأثر الى درجة الاعتراف بأن نساء الاهوار كن ((سمراوات اللون وجميلات)) مضيفاً ((إنَّ اناساً يعيشون بين الأهوار والمستنقعات هم اصلب العرب قاطبة وأكثرهم وسامة وجمالاً)) ، أمّا النقيب جورج كيبل في أثناء مروره بالاهوار سنة ١٨٢٤ ذكر أنَّ نساء الأهوار كُنَّ جميلات بشكل يثير الاعجاب ، ويضيف ((كن جميلات موشومات على الوجه والايدي والاقدام ... ابرزت تقاسيم وجوههن الدقيقة واطرافهن المنسقة جمالاً كلياً لا يضارعه الجمال الموجود في المجتمعات الراقية)) . للمزيد ينظر : غافن يونغ ، العودة الى الاهوار ، ترجمة فريدة ضياء شكارة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص[٦٥-٦٦] .

[١٠٨] - الميدوزا : مخلوق خرافي في الأساطير اليونانية عن قصة بنت جميلة ، غير أنَّها مارست الجنس في معبد اثينا ، وهذا ما جعل اثينا تغضب ، فحولتها الى امرأة بشعة المظهر ، وحولت شعرها الى ثعابين ، فكان كل مَنْ ينظر الى عينيها يتحول الى حجر . ينظر : العراق في رحلة الأب دومينيكو سيستيني في سنة ١٧٨١ ، المصدر السابق ، ص[١٦٥] ، هامش[٣] .

[١٠٩] - العراق في رحلة الأب دومينيكو سيستيني في سنة ١٧٨١ ، المصدر السابق ، ص[١٦٥-١٦٦] .

[١١٠] - بغداد في رحلة جوزيف دي بوشامب (١٧٨٤) ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، ضمن كتاب : بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب من القرن السلدس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلاديين ، مراجعة شمران العجلي ، تحقيق عبد الجبار ناجي وانيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٣ ، ص[٤٦٥] .

[١١١] - العراق في رحلة كونت فيرير سوفبوف سنة ١٧٨٥ ، ترجمة وتعليق خالد عبد اللطيف حسين ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد (٣٤) ، السنة الحادية عشر ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص[٥٥] .

[١١٢] - مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧ ، للرحالة الانكليزي جاكسون ، ترجمة سليم طه التكريتي ، مطبعة الاسواق التجارية ، بغداد ، (د . ت) ، ص[٤١-٤٢] .

[١١٣] - المصدر نفسه ، ص[٤٢-٤٣] .

قائمة المصادر

أولاً : الكتب الوثائقية

١- البلاد العربية في الوثائق العثمانية أواسط القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي،المجلد الثاني،إعداد وترجمة ودراسة فاضل بيات، استنبول، ٢٠١١.

٢- البلاد العربية في الوثائق العثمانية أواخر عهد السلطان سليمان القانوني،المجلد الثالث،إعداد وترجمة ودراسة فاضل بيات، تقديم خالدارن، استنبول، ٢٠١٤.

٣- الجمهورية العراقية وزارة الحكم المحلي، الدليل الإداري للجمهورية العراقية ١٩٨٩-١٩٩٠، ج٢، ط١، ١٩٩٠ .

٤- تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية، العشائر والسياسة، ترجمة عبد الجليل الطاهر، النجف، (د.ت).

٥- جريدة الحكومة العراقية ، العدد ٢٠ ، بغداد ، ٢١ اكتوبر ١٩٢١ .

ثانياً : االمخطوطات

١- السيد علي خان الموسوي المشعشعي ، الرحلة المكية ، نسخة خطية عربية في مكتبة سبهسالار (مطهري حالياً) ، رقم ١٥١٣

ثالثاً : <u>الأطاريح والرسائل الجامعية</u>

١-بشرى رمضان ياسين، تحليل جغرافي للانتاج الزراعي في قضاء المدينة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، .١٩٩٢

٢- حسين علي عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني، ٩٥٣هـ - ١٠٧٩ / ١٥٤٦م - ١٦٦٨م، دراسة في التاريخ الاجتماعي والعمراني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٨.

٣- محمد اطخيخ ماهود المالكي، قضاء المدينة دراسة في الجغرافية الإقليمية، باستخدام نظم المعلومات الجغرافية GIS، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة،.٢٠٠٩

٤- محمد هليل الجابري، إمارة المشعشعين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٣.

ثانيا : الكتب

١- إبن الغملاس، ولاة البصرة ومتسلموها، دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٢.

٢- الرحالة لياندو الكرملي ، معرفة الشرق في العصر العثماني ، ترجمة الاب بطرس حداد ، المركز الاكاديمي للابحاث ، بيروت ، ٢٠١٣ .

٣- العراق والخليج العربي في رحلة جان اوتر (١٧٣٦ – ١٧٤٣) ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، مراجعة انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٥ .

٤- العراق في رحلة الأب دومينيكو سيستيني في سنة ١٧٨١ ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، مراجعة وتحقيق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٤ .

٥- بغداد في مؤلفات الرحالة الاجانب من القرن السلدس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلاديين ، مراجعة شمران العجيلي ، تحقيق عبد الجبار ناجي وانيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٣ .

٦- بارثيلمي كاريه، رحلات الأب بارثيلمي كاريه في العراق والخليج العربي وبادية الشام(١٦٦٩-١٦٧٤)، ترجمة أنيس عبد الخالق محمود وخالد عبد اللطيف حسين، ط١، بيروت، ٢٠١٤.

٧- بيتر برنيث ، بلاد العرب القاصية : رحلات المستشرقين الى بلاد العرب ، ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان سابو ، بيروت ، ١٩٩٠.

٨- تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق المعاصر، ترجمة زينه جابر إدريس، ط١، بيروت، ٢٠٠٦.

٩- حسام طعمة ناصر و مشتاق عيدان اعبيد ، المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثماني ١٥٤٦ – ١٧١٨ ، دراسة في الاحوال السياسية والاجتماعية ، ط١ ، العتبة العباسية المقدسة ، قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية ، مركز تراث البصرة ، العراق ، ٢٠١٥ .

١٠-حسين محمد فهيم ، ادب الرحلات ، دراسة تحليلية من منظور انثوجرافي، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٣٨ ، ١٩٨٩ .

١١-حسون البطاط ، حياة السيد احمد بن عيسى بن زيد بن الامام زين العابدين (عليه السلام) ، ط١ ، دار الفيحاء للطباعة والنشر ، البصرة ، ٢٠١٤ .

١٢-حمود حمادي الساعدي ، بحوث عن العراق وعشائره، دار الاندلس، النجف الاشرف ،١٩٩٠ .

١٣-جاسم حسن شبر ، المشعشعين وتراجم اعلامهم ، النجف الاشرف ، ١٩٦٥ .

١٤-جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج١،ط١،بغداد ،١٩٧١.

١٥- رحالة اوربيون في العراق بين القرنيين السادس عشر والثامن عشر ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، مراجعة انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٥ .

١٦-رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر، ترجمة وتعليق أنيس عبد الخالق محمود، ط١، بيروت، ٢٠١٣.

١٧- رحلات عثمانية في الجزيرة العربية والهند واسيا الوسطى مابين القرنين السادس عشر والعشرين ، ترجمة محمد حرب ود وتسنيم محمد حرب ، ط١ ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، الامارات العربية المتحدة ، ٢٠١٣.

١٨- رحلات جان دي تيفينو في الاناضول والعراق والخليج العربي (١٦٦٤ – ١٦٦٥) ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق مخمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ .

١٩-رحلة بالبي إلى العراق، ترجمة الأب بطرس حداد، ط١، بغداد، ٢٠٠٥ .

٢٠- رحلة القائد العثماني سيدي علي التركي الى الجزيرة العربية سنة ١٥٥٣ ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠١٠ .

٢١- رحلة بيدرو تيخيرا من البصرة الى حلب عبر الطريق البري (١٦٠٤ – ١٦٠٥) ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ .

٢٢- رحلة ديللافاليه الى العراق (مطلع القرن السابع عشر) ، ترجمة وتعليق الاب بطرس حداد ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٦.

٢٣- رحلة لابولي لوغوز من الهند الى الاناضول عبر العراق في سنة ١٦٤٩ ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، مراجعة انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٥ .

٢٤- رحلة سبستياني الى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة الاب بطرس حداد ، بغداد ، ٢٠٠٤ .

٢٥- رحلة ابراهام بارسونز من حلب الى الخليج العربي (١٧٧٤ – ١٧٧٥) ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ .

٢٦-رحلة صموئيل ايفرز من البصرة الى البحر المتوسط سنة (١٧٧٩) ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ .

٢٧-رحلة ديللافاليه الى العراق (مطلع القرن السابع عشر) ، ترجمة وتعليق الاب بطرس حداد ، ط١، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٦.

٢٨-رشيد الخيون ، الأديان والمذاهب في العراق ، ط١ ، دار الجمل ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

٢٩-ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٥، بيروت، ٢٠٠٤.

٣٠- سر وليس بدج ، رحلات الى العراق ، ترجمة فؤاد جميل ، ج١ ، ط١ ، مطابع دار الزمان ، بغداد ، ١٩٦٦ .

٣١-صالح اوزبران ، الأتراك والعثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي (١٥٣٤ – ١٨٨١) ، ترجمة وتعليق عبد الجبار ناجي ، بغداد ، ١٩٧٩.

٣٢-شاكر مصطفى سليم، الجبايش، ط٢، بغداد، ١٩٧٠.

٣٣-صموئيل إيفرز، رحلة صموئيل إيفرز من البصرة إلى البحر المتوسط سنة(١٧٧٩)، ترجمة وتعليق أنيس عبد الخالق محمود، ط١، بيروت، ٢٠١٣.

٣٤-طارق نافع الحمداني، مدن العراق وقبائله العربية في العصر الحديث، بيروت، ٢٠١٠.

٣٥-عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٤، ط١، بيروت، ٢٠٠٤.

٣٦-عبد الحسين جواد السريح، الإقليم الوظيفي في القرنة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٧٧.

٣٧- عبد الجليل الطاهر ، العشائر العراقية ، ج١ ، بغداد ، ١٩٧٢ .

٣٨- عبد الرزاق الحسني، الصابئون في حاضرهم وماضيهم، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٥.

٣٩- ـــــــــــــــــــــــــــــ ، رحلة في العراق أو خاطرات الحسني، ط١، بيروت، ٢٠١٣.

٤٠-عبد علي بن رحمة الله الحويزي البحراني، تأريخ الدولة الافراسيابية، دراسة تحقيق سعدون جاسم محمد الجزائري، ط١، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٣.

٤١-ـــــــــــــــــــــــــــــ، السيرة المرضية في شرح الفرضية، تحقيق محمد الخال، باسم تاريخ الإمارة الإفراسيابية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦١.

٤٢-علي الشرقي، العرب والعراق، ط١، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٣.

٤٣-علي شاكر علي، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨- ١٧٥٠ميلادية ١٠٤٨-١١٦٤هـ، دراسة في أحواله السياسية، ط١، الموصل، ١٩٨٥.

٤٤-عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (١٥١٦ – ١٩٢٢)، بيروت .

٤٥-علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، بغداد، ١٩٢٧ .

٤٦-غافن يونغ، العودة إلى الأهوار، ترجمة فريد شكاره، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.

٤٧-فتح الله الكعبي، زاد المسافر ولهنة المقيم الحاضر،ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢.

٤٨-فلادمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار التقدم موسكو،١٩٧١.

٤٩-فيصل السامر، ثورة الزنج، ط٢، بغداد، ١٩٧١.

٥٠-كارستن نيبور، رحلة نيبور الكاملة الى العراق، ترجمة سعاد هادي العمري وآخرون، ط١، دار الوراق للنشر، بغداد، ٢٠١٢.

٥١-لجنة إعلام (مديرية إرشاد المنطقة الجنوبية)، البصرة في مهرجان الشعر التاسع، البصرة، ١٩٦٩.

٥٢-محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٤ .

٥٣-مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧ ، للرحالة الانكليزي جاكسون ، ترجمة سليم طه التكريتي ، مطبعة الاسواق التجارية ، بغداد ، (د . ت) .

٥٤- نعمة الله الجزائري ، الأنوار النعمانية، ج٤، ط١، بيروت، ٢٠٠٨.

٥٥-نظمي زادة مرتضى أفندي، كلشن خلقاً، ترجمة موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١.

٥٦-هادي العلوي،.شخصيات غير قلقة في الإسلام، ط٤، بيروت، ٢٠٠٧.

٥٧-ولفرد ثسيكر، المعدان أو سكان الاهوار، ترجمة باقر الدجيلي، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦.

٥٨-يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، القسم الثاني، تقديم رفائيل بطي و مير بصري، بغداد، ١٩٥٥.

ثالثاً: البحوث والمقالات :

١- العراق في رحلة جون نيوبري سنة ١٥٨٣ ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد (٣٢) ، السنة الحادية عشر ، دار الحمة ، بغداد ، ٢٠١٢ .

٢- العراق في رحلة كونت فيرير سوفبوف سنة ١٧٨٥ ، ترجمة وتعليق خالد عبد اللطيف حسين ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد (٣٤) ، السنة الحادية عشر ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٢ .

٣- باقر أمين الورد، من أحداث بغداد في نهاية العهد العثماني، جريدة المدى، العدد (٢٥٧٣) ،بغداد،الاثنين ٢٧ آب ٢٠١٢ .

٤- رحلة فيدريجي الى العراق (القرن السادس عشر) ، ترجمة وتعليق الأب بطرس حداد ، مجلة المورد ، المجلد الثامن عشر ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٨٩ .

٥- سيار الجميل ، رحلة جوستن بيركنس عبر شمال العراق الارض الكلاسيكية عام ١٨٤٩ م ، مجلة المورد ، المجلد الثامن عشر ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٨٩ .

٦- طارق نافع الحمداني ، موقف القوى المحلية من الولاة العثمانيين في البصرة خلال القرن السادس عشر، مجلة دراسات للأجيال، العدد الثالث، السنة الخامسة، ١٩٨٢.

٧- فلاح حسن عبد الحسين، مدينة البصرة كما وصفها الرحالة الأوربيون في العصر الحديث، موسوعة البصرة الحضارية (الموسوعة التاريخية)، جامعة البصرة، المركز الثقافي، البصرة، ١٩٨٩.

٨- فلاح حسن عبد الحسين ، بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما اوردها الرحالة الاوربيون في العصر الحديث ، مجلة المورد ، المجلد الثامن عشر ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٨٩.

٩- محمد هليل الجابري، موسوعة البصرة الحضارية (الموسوعة التاريخية)، جامعة البصرة، المركز الثقافي، البصرة ، ١٩٨٩ .

The Jazair of Basrah in the Writings of Foreign Travelers since the second half of the sixteenth century until the end of the eighteenth century

Asst. Lect. Mushtaq Idan Obaid
Basra Educational Directorate/ Al Medina High School for Boys

Abstract :

This study focused on the writings of foreign travelers who passed through and visited Jazair al Basra , and the difference between their nationalities since the second half of the sixteenth century until the end of the eighteenth century , and We have reviewed everything that those travelers wrote to know the conditions of the region , and The research included a three axes and conclusion . The first includes Jazair al Basra in the writings of globetrotter in the second half of the sixteenth century . During that period, their writings focused on the conflict between the Ottoman Empire and Al Alain .The second axis pointed out to what the globetrotter wrote about the region in the seventeenth century when the region laid under the occupation of the (the princedom of Al afrasiabi) . while the last axis dealt with what the globetrotter books included in the eighteenth century . It clearly indicates to the Al Muntafiq control on the capabilities of al Jazair Area . The conclusion of this research talks about the impressions of Globetrotter from Al Jazair often not exceeding the general description , so that we find only little disparity in the provision of a wider picture , as well as it is not without the clamping of its population.